قراءات في كتب جديدة

05 سبتمبر 2023

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

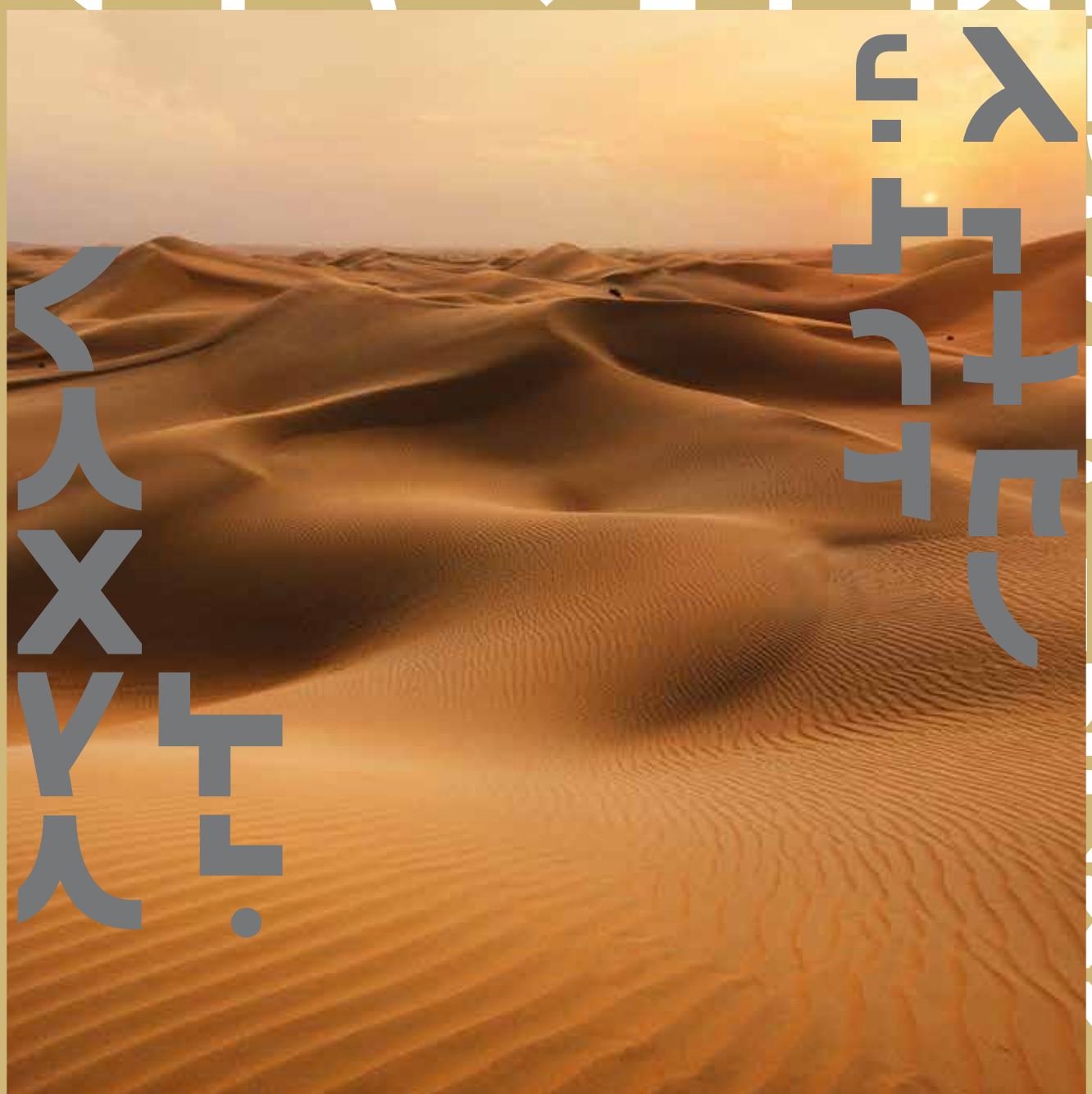

COP28 UAE | UNIVERSITIES CLIMATE NETWORK

قـراءات مجلة دوريـة تصدرها جامعة محمد بـن زايد للعلوم الإنسـانية بالتعاون مع الأرشـيف والمكتبـة الوطنيـة، وذلـك ضمـن جهـود الجامعـة لتعزيز مجـالات النشر والتوثيـق، وإثـراء السـاحة الثقافيـة والأدبيـة مـن خـلال عـرض الجديـد مـن الكـتب والإصدارات في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

صحراء ليوا - أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية جامعة حكومية في إمارة أبوظبي. تتمتع بالشخصية الاعتبارية المستقلة، والأهلية القانونية كاملة التصرف، وذلك بموجب قانون الإنشاء رقم: 20 لسنة 2020.

تهدف الجامعة إلى دعم مسيرة التنمية والتطوير والبحث العلمي، عن طريق طرح برامج أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية؛ لنيل درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه؛ لتكون مركزًا أكاديميًا مرموقًا على مستوى العالم، في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية والفلسفية، وتسعى بشكل خاص إلى تقديم برامج أكاديمية متميزة في اللغة العربية وآدابها، وفي الدراسات الإسلامية بفروعها؛ بهدف تقديم الإسلام والثقافة العربية بطريقة حضارية وإنسانية، تقوم على نشر فضائل التسامح والمحبة واحترام حقوق الانسان، وإعلاء قيم الاعتدال والوسطية والانفتاح على ثقافات وشعوب العالم المختلفة.

وفي سبيل ذلك تسعى الجامعة إلى تمكين الخريجين من امتلاك القدرة على المبادرة، والإبداع والتفكير الناقد، وبث الروح الإيجابية، والانتماء للوطن، وترسيخ القيم التي تقوي الأواصر الاجتماعية، وترسخ التوازن النفسي والفكري والمادي؛ ليكون المجتمع الإماراتي منارةً علميةً، وأنموذجًا عالميًا مؤثرًا في التوجه العالمي، وتحقيق نموذج الانفتاح على العالم بعقلية مبدعة، وقيم إنسانية وتعايش فعلي، وتعاون بناء لخير البشرية.

تقع جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في مدينة أبوظبي، ولها فرع في إمارة عجمان، وتسعى حاليًا لافتتاح فروع أخرى داخل الدولة وخارجها.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street, P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi / 02 499 9000

Sheikh Maktoum Bin Rashid Street,
Mailbox 26262, Ajman, UAE / 06 711 9000

info@mbzuh.ac.ae
www.mbzuh.ac.ae

جـــــامـــــعـــــة
محـــــمد بـــــن زايـــــد
لـلـعـلـــــوم الإنـــــسـانـيـــة
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأحداث

12 مساق "إرث الشيخ زايد في التعايش السلمي"

28 مؤتمر اللغة العربية والاسانيات التطبيقية

44 ندوة تعريفية حول إطلاق المجلات العلمية المحكمة

54 صالون بيت الحكمة 25 يوم الى عدن

61 رحلة علميّة الى ايطاليا

مراجعات الكتب

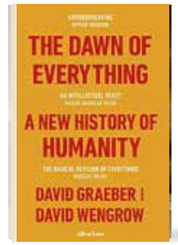

14 فجرُ كلّ شيء: تاريخٌ جديدٌ للبشرية

17 الصين تربط العالم: مبادرة الحزام والطريق

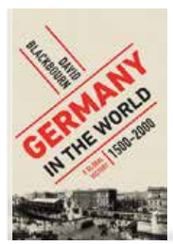

20 ألمانيا في العالم

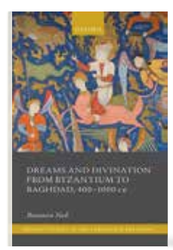

46 الأحلام والتبصير من بيزنطة إلى بغداد 400-1000 ميلادي

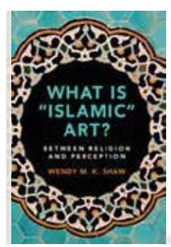

49 ما هو الفن الإسلامي؟ بين الدين والتصور

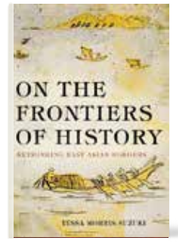

22 على حدود التاريخ: إعادة التفكير في حدود شرق آسيا

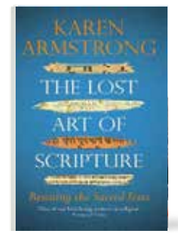

25 فن الكتاب المقدس المفقود: إنقاذ النصوص المقدسة

30 الديانات الإبراهيمية في العصور الكلاسيكية المتأخرة

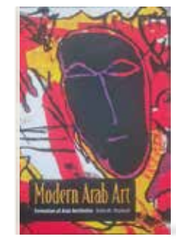

51 الفن العربي الحديث: تكوين الجماليات العربية

56 التعليم التقني والمهني:

33 أطلس البابا فرنسس حاضرة الفاتيكان والسياسة الدولية

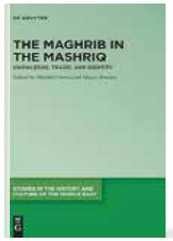

37 المغرب في المشرق: المعرفة والرحلة والهوية

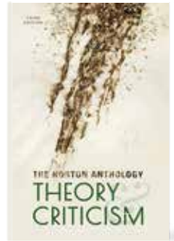

41 مقتطفات نورتون: النظرية والنقد

59 عندما يُغلق باب الصف

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

مجلة دورية تصدرها جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية بالتعاون مع الأرشيف والمكتبة الوطنية

رئيس التحرير
خليفة الظاهري

الإشراف العام
خليفة الساعدي

مدير التحرير
رضوان السيد

مجموعة التحرير
البدر الشاطري
كريمة المزروعي
ماريا الهطالي
محمد السيد

الإشراف الفني
دلال البلوشي

اخراج
مصعب مشعل

إصدار
مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بالتعاون مع
الأرشيف والمكتبة الوطنية

Abu Dhabi:
Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street,
P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi

Ajman:
Sheikh Maktoum Bin Rashid Street, Mailbox 26262,
Ajman, UAE

Phone: + 971 4 388 46 99
Fax: + 971 4 388 47 99
e-mail: mbzuh@ac.ae

www.mbzuh.ac.ae

MBZ university for humanities
mbzuh

استقبال الجديد في الإنسانيات

يحتوي العدد الخامس من قراءات على كتب جديدة ومبدعة في العلوم والدراسات الإنسانية: رؤى العالم القديمة والمعاصرة، ودراسات الأديان، والدراسات الإسلامية، والنقد الأدبي، والتربية والتعليم. وهي غيض من فيضٍ تعرضه الجامعات العالمية، ودور النشر الكبرى كل شهر، بل كل أسبوع. ولا تستطيع المجلة بالطبع أن تعرضه كلّه أو معظمه، وإنما تعرض أهمّه في المجالات الأقرب إلى توجهات جامعة محمد بن زايد. ثم من بين المختار لقربه من تخصصات الجامعة، تختار ما هو الأكثر إبداعاً وجدةً في الموضوع ومناهج الدراسة و المعالجة.

في مجال رؤى العالم القديمة والمعاصرة، هناك دراسة جادّة لتصور جديد لعصور الإنسانية الأولى وقضايا ظهور المجتمعات الكبيرة والدول. أما الدراسة الأخرى لرؤى العالم المعاصرة، فتعرض تصوراً صينياً للمشروع الصيني الكبير: الحزام والطريق. وفي دراسات الأديان عرضنا ثلاث دراسات تعرض اثنتان منها تصورات جديدة لظهور المقدس في الدين وإمكانيات قيام علاقات تضامن وقواسم مشتركة بين الديانات في العالم المعاصر. أما الدراسة الثالثة فتقرأ قراءة تحليلية سياسات البابا فرنسِس في المجال العالمي المتغير، وتولي اهتماماً خاصاً بسياسات البابا الجديدة تجاه أميركا اللاتنية والمسلمين. وهناك مراجعتان لكتابين في دراسات الإسلام في الغرب، وفي تأثير الغرب الأندلسي على علوم المشرق في نهايات العصور الوسطى. وفي الجانب الأدبي والنقدي هناك دراسة في النظرية الأميركية في الأدب والنقد، ودراستين في الفن العربي والإسلامي القديم و المعاصر . و إلى ذلك هناك دراستان في التربية والتعليم.

أما المراجعون فهم مختصون في المجالات التي راجعوا كتبها، ومنهم من نشر في المجلة من قبل، وبينهم بعض الجدد، والجديد في مجال المراجعات أننا كنا نحن في التحرير من نقترح الكتب التي نريد مراجعتها، وفي العددين الأخيرين صار بعض الزملاء هم الذين يقترحون العناوين، ونتوافق على ذلك إذا كانت مؤلفات جديدة وتعرض جديداً.

إن الأكثر ترحيباً من جانب القراء هما العددان الأول والرابع. لقد صارت المجلة معروفة، ونحن نطمح إلى أن يكون قراؤنا أكبر عدداً، وكذلك الزملاء المراجعون المختصون الجدد. وعلى كل حال فالمجلة لا تستهدف عامة المثقفين فقط، بل تستهدف أيضاً طلبة الدراسات العليا سواء أكانوا قراءً أو كانوا مسهمين.

استقبال الجديد وتقييمه عملٌ صعبٌ ومحفوفٌ بالمخاطر والتحفظات بشأن الأولويات. ونحن لهذه الجهة -بحمد الله - نستجيب للتحديات ومغامرة اختيار الجديد والمتقدم كما هو نهج جامعة محمد بن زايد الخصب والتنويري، وبالله التوفيق.

رضوان السيد

المحتوى

فجر كل شيء: تاريخ جديد للبشرية

غرايبر، وينغرو

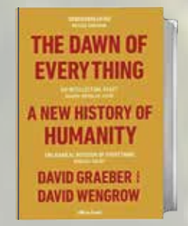

يطرح المؤلفان رؤية جديدة للتاريخ البشري الأول، أي العصر الحجري الأول والثاني. وهما يقولان إنهما لا يأتيان بجديد، بل يعيدان جمع المعلومات القليلة المتجمعة من البحوث الأثرية ويقيمانها من جديد، والهدف نقض الرؤى المصطنعة لجان جاك روسو، وتوماس هوبز، تلك الرؤى تقول بدون دليل أنّ مجتمعات الالتقاط والرعي سادتها المساواة، وأنّ الطبقات ظهرت مع تضخم المجموعات والزراعة والملكية والسلطة. إنّ فرضية بعضنا بوجود طفرات متأخرة في الدماغ البشري تفسر القدرات المتفوقة للأوروبيين خلال العصر الحجري القديم الأعلى يُعدُّ وهماً لا يمكن الأخذ به، ويعرّج المؤلفان على موقع غوبكلي تبي في الأناضول، وكانت المجتمعات هناك مجتماعات صيد والتقاط؛ لكنها طوّرت مع ذلك منشآت ضخمة وتنظيمات معقدة، وكان لديها تسلسل هرمي. **قراءة: محمد بركات الطراونة** صفحة: 14

الصين تربط العالم: ماتستند إليه مبادرة الحزام والطريق

وانغ ييوي

يرى المؤلف أنّ مبادرة الحزام والطريق ظهرت في الصين، لكنها تنتمي إلى طموحات العالم كلّه. فالمبادرة هي بشكلٍ عام هيكل للإصلاح الشامل والانفتاح. يفهم الكاتب أنّ المبادرة هي أولاً شبكة نقل أوراسية متكاملة ومتعددة الأبعاد، تتكون من السكك الحديدية والطرق والخطوط الجوية والممرات البحرية وخطوط أنابيب النفط والغاز وخطوط النقل وشبكات الاتصالات. ويرى وانغ ييوي أن كل هذه الجهود تهدف إلى مساعدة الدول غير الساحلية في البحث عن مناطق للوصول إلى البحر؛ مما سيربط اليابسة بالمحيط. ويرى المؤلف شواهد على نجاح الخطة في أنّ المبادلات التجارية للصين مع دول "الحزام والطريق" قد بلغت عام 2015 تريليون دولار، وهو ما يعادل رُبع مجموع التجارة الخارجية للصين. الشعب الصيني شعب عريق. وفي كتاب توبي هاف أنه حتى القرن السادس عشر كان هناك المثلث الحضاري: الصين - أوروبا - دار الإسلام. ففي الحزام والطريق إحياء لذلك المثلث وتوسيع له، بحيث يتجاوز المناطق التي كانت تغطيها طريق الحرير. ولا ينكر الكاتب أنه يريد الدعاية للمشروع الصيني الكبير لكنه مُصرٌ على أنه مصلحة وطنية ومصلحة للعالم في الوقت نفسه. **قراءة: ناظم كمال** صفحة: 17

ألمانيا في العالم

ديفيد بلاكبورن

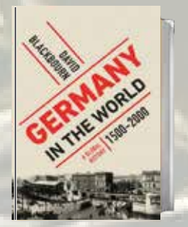

ما توحدت ألمانيا في دولة أو إمبراطورية قبل العام 1871، وخلال قرابة الثلاثة قرون كان الألمان يهاجرون فيقاتلون في الجيوش الأوروبية ويذهبون إلى أميركا، كما كانت نُخبهم العلمية الألمانية تنتشر في الغرب باحثة عن الأمن والاستقرار والعمل، وهرباً من الحروب التي كانت تشارك فيها الممالك والإمارات الألمانية. إنّ أقدم الهجرات الكثيفة للعلماء الألمان وإلى بريطانيا على وجه الخصوص، كانت خلال الحرب الطويلة مع فرنسا (1618 - 1648). أشهر هؤلاء هارتلب وكيرشر وسواهما. وبعد سيطرة هتلر هاجر كثيرون وكان من بينهم أوبنهايمر أبو القنبلة النووية، وألبرت أينشتاين صاحب النظرية النسبية في الفيزياء. اشتهر صموئيل هارتلب بعلوم الرياضيات والفيزياء والبصريات. أما كيرشر فاشتهر بشبكة العلماء التي أسسها انطلاقاً من إيطاليا. وما اشتهر المهاجرون الألمان في العلوم فقط، بل كان منهم الأدباء والفلاسفة. ويؤخذ على بعض العلماء الألمان رؤيتهم العنصرية، إذ ساعدوا الإمبراطوريات الاستعمارية في بريطانيا وأسبانيا والبرتغال. انهزم الألمان الذين كانوا شديدي الاعتزاز با لقوة الوطنية ،كما سمّوها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فكادت البلاد تخرب مرتين. وحتى اليوم ما يزال الخوف من الحروب وأهوالها كامناً في أعماق الشخصية الألمانية. **قراءة: محمد السماك** صفحة: 20

على حدود التاريخ: إعادة التفكير في حدود شرق آسيا

تيسّا موريس – سوزوكي

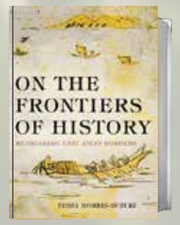

تنشغل تيسّا سوزوكي - وهي أستاذة يابانية - بموضوع الحدود التي يراها النظام الدولي أبدية وثابتة، بينما هي في الحقيقة مصطنعة صنعتها الحروب والسياسات الدولية. والدول قسمان: أولئك الذين يرون أنهم مظلومون ويريدون إعادة التفكير في الحدود، والمنتصرون في الحرب الذين لا يقبلون إعادة النظر. لكن سوزوكي وبسبب إدانتها الشديدة للحدود الثابتة والأبدية، ترى أنه من المفيد وقد يكون من الضروري قبول التفاوض دونما مقدسات حاكمة، وهذا لا يعني الانحياز لصالح هذا الطرف أو ذاك، بل التفاوض بروح طيبة لإخماد النزاعات. **قراءة: حبيب البدوي** صفحة: 22

فن الكتاب المقدس المفقود، إنقاذ النصوص المقدسة

كارين أرمسترونج

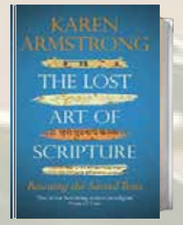

تدرس الكاتبة المعروفة في الشؤون الدينية كارين أرمسترونج التطورات الكبرى في عددٍ من الديانات والتقاليد الدينية. وهي تحدد الدراسة بما قبل تقديس النص المعتمد، وما بعد تقديسه، تبدأ بالعهد القديم العبري، ثم تدرس التقاليد الدينية في الصين ولدى كونفوشيوس والهندوسية والبوذية، ثم تعود للبحث في التقاليد الدينية التوحيدية اليهودية والمسيحية والإسلامية. لقد استغرق استقرار النصوص والتقاليد في نظر الكاتبة أزمنةً طالت أو قصرت، وبعد التقنين ما انتهت القضايا والمفاهيم إلى توحد، بل استمرت حولها العديد من الاختلافات . ولذلك تنصح الكاتبة المتدينين والباحثين في الأزمنة المعاصرة أن لا يفهموا هذه النصوص فهماً حرفياً. تطرح الكاتبة على الكتب المقدمة أسئلة مهمة مثل: التوافق مع العصر الحديث، وهل ضاع الغرض الأصلي منها، و هل ما تزال الكتب المقدسة تخاطبنا اليوم. **قراءة: زياد السلامين** صفحة: 25

الديانات الإبراهيمية في العصور الكلاسيكية المتأخرة

غي سترومسا

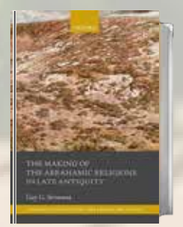

يركز الأستاذ المعروف في دراسات الدين وبخاصةٍ الديانات الإبراهيمية على ثلاثة أمور: الأول أنّ أطروحة الديانات الإبراهيمية تكونت مابين زمن المسيح و زمن النبي محمد ﷺ، والثاني أنّ هذا التكون اقترن بالتركيز على الخصوصيات وانفصال كل دين عن الآخر، ومن ذلك التصورات حول الوحدانية والعبادات وأواليات الخلاص. ولأنّ أعداء المسيح حسب التصور المسيحي يظهرون قبل عودته على مشارف اليوم الآخر، فقد تشاءم المسيحيون باحتلال الفرس للقدس (614)، ثم المسلمين للمدينة عام 636 م. بينما سُرَّ اليهود لسيطرة الفرس ثم المسلمين على المدينة؛ لأن النبوءات عندهم بالانتصار قبل يوم القيامة. والثالث أنه لو جرت مراجعة تقاليد العنف والانفصال بعقلية نقدية، لتبين أنّ هناك قواسم مشتركة كثيرة بين هذه الديانات يمكن استثمارها في تنمية التواصل والتعاون. **قراءة: استيرلنج جينسن** صفحة: 30

حاضرة الفاتيكان والسياسة الدولية

أنطونيو سبادارو

أنطونيو سبادارو صحفي إيطالي معروف ويعمل رئيساً لتحرير مجلة معنية بشؤون الفاتيكان وسياساته اسمها: الحضارة الكاثوليكية. وقد ألّف هذا الكتاب ليشرح أبعاد السياسات الحالية للبابا فرنسيس في ضوء تاريخ سياسات الفاتيكان في الشؤون العالمية، واستجاباته للظروف المتغيرة. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يُعنى القسم الأول بمعاني إسهام رجل الدين المسيحي في الشأن العالمي، ومن ضمن ذلك مسعى رجل الدين لتغيير التاريخ، ومدلولات مفهوم السلم في منظور البابا. وفي القسم الثاني ينشغل الباحث بالخرائط السياسية التي تحرك ضمنها فرنسيس، وسعى من خلالها إلى متابعة القضايا الدولية ومنها: تطور موجات اليمين والشعبوية والفوبيا في أوروبا وضعف الروح المسيحية. أما القسم الثالث والأخير فيُعنى بسياسات البابا في أمريكا اللاتينية، كما يهتم بمعنى الإسلام والأخوة الدينية والإنسانية ومنها: وثيقة الأخوة (2019) وزيارته للعراق ولقاء السيستاني. أدرك البابا - بحسب المؤلف - محورية العالم الإسلامي، فتعامل مع المسلمين كما لم يتعامل أي حبر فاتيكاني من قبل. وهناك تذييل في الكتاب عن المسيحيين في الصين، وكيف سار البابا مع السلطات هناك من الصدام إلى التعايش.

قراءة: عز الدين عناية صفحة: 33

المغرب في المشرق: المعرفة والرحلة والهوية

ماريبيل فييرو

المتعارف عليه أنّ الأندلسيين والمغاربة رحلوا في طلب العلم إلى المشرق. ولذلك يكثر الحديث عن تأثيرات المشرق على المغرب والأندلس في سائر الشؤون العلمية. لكن المؤلفة تفعل العكس، أي تبحث تأثيرات علماء الأندلس في المشرق، وتعتدّ بعدد المخطوطات الباقية من مؤلفات مشاهيرهم، وتداول المشارقة لها وتعليقاتهم وشروحهم عليها، والكتب هي: رتبة الحكيم للمجريطي (في العلوم السرية)، وسراج الملوك للطرطوشي، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ومنظومة حرز الأماني للشاطبي الرعيني، وهي شرح لكتاب أبي عمرو الداني في القراءات. وكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي في التفسير الفقهي للقرآن، والألفية لابن مالك الجيآني في النحو والصرف، والآجرومية لابن آجروم في النحو أيضاً، وكشف الآثار عن علم حروف الغبار للقلصادي في علوم الحساب، وأرجوزة الولدان أو المقدمة القرطبية المنسوبة ليحيى القرطبي في شرح المبادئ الأساسية للإسلام. المشهورون من الأندلسيين في المشرق اليوم هم أمثال ابن رشد و ابن حزم و ابن عربي. لكنّ الأمر لم يكن على هذا النحو في العصور الوسطى. **قراءة: سعد ربيع** صفحة: 37

مقتطفات نورتون في النظرية والنقد

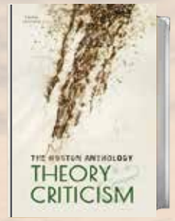

فينسنت ليتش

يعرض الكتاب مجموعة بحوث ضخمة (48 مقالة) في مستجدات نظرية الأدب والنقد في أمريكا. يتصدى الدارسون الأميركيون لطروحات نقد ما بعد الحداثة الذي أعاد النظر في السياقات الإنسانية، ويتعرضون لأسئلة تتعلق بماهية الأدب، وعلاقة الأدب بالجمهور دون تكرار واجترار للطرح الإغريقي. إن الذي يميز المدرسة الأميركية أنها أقامت تصوراتها النقدية في مرحلة ما بعد البنيوية، واستلهمت منها ما أرادته ولم تتبع المركزية الأوروبية. لقد اجتهد النقاد الأميركيون في تحليل الأدب وفق تصورات تفكيكية حديثة تجاوزت البنيوية الفرنسية، التي كانت قد أحالت النصّ إلى مجرد معادلة رياضية. استجابت الدراسات النقدية الأميركية للمعطى السياقي فانعتقت من ربقة البنيوية لصالح نظرات خاصة في الدراسات الثقافية، وصلت بها إلى دراسة الأدب من خلال أنساق أدبيه تخص الجندر و ثنائياته وأدب العرق وأدب الأطفال وسواهم. **قراءة: نزار قبيلات** صفحة: 41

تفسير الأحلام من بيزنطة إلى بغداد (400 - 1000 للميلاد)

برونين نيل

يقوم برونين نيل في كتابه باستكشاف أكاديمي للظواهر العلمية في الديانات الثلاث: المسيحية والإسلام واليهودية، حيث تتم دراستها من منظورات متعدده معرفية وتفسيرية وتاريخية وفلسفية ودينية وسياسية. لقد كان يعتقد أنّ الأحلام النبوية تمثل تدخلاً إلهياً في التاريخ البشري. وكان للأنبياء عند البيزنطيين سلطة لا مثيل لها في المحاكم الإمبراطورية ومخيمات الجيش والتجمعات الدينية، لقد أعطى الخفاء المتأصل في الأحلام فرصة أداء دور البطولة لشابين مباركين بالهداية الإلهية في تفسير الأحلام هما يوسف ودانيال. كانت الرسائل الإلهية التي يتم استقبالها في أحلام الوحي في التقاليد الوثنية واليهودية والمسيحية واليونانية الرومانية والإسلامية المبكرة، تتطلب معبّرين متخصصين وأماكن محددة للوصول إلى المعرفة بالموقف والمستقبل. وفي تناقض مع كتب تفسير الأحلام، وأقوال الحكماء، فإن النصوص التاريخية لهذه الحقبة لاتحتوي على أحلامٍ من أصل شيطاني مع التركيز فقط على الأحلام التي ثبت أنها "حقيقية".

قراءة: محمد السيد صفحة: 46

ما هو الفن الإسلامي؟ بين الدين والتصور

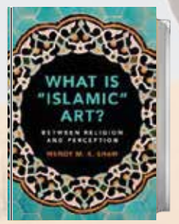

ويندي شاو

يستكشف كتاب ويندي شاو الرؤى المختلفة للفن في الثقافات الإسلامية والغربية على حد سواء، بدلاً من أن يركّز على الأعمال الفنية بحد ذاتها، وتهدف الكاتبة بهذا إلى تحويل الجدل الأكاديمي من كيفية إنتاج الفن الإسلامي إلى كيفية تلقيه وفهمه، مشدّدة بذلك على السمات المشتركة التي تتجاوز الحدود الزمنية والجغرافية. إنّ الهدف الأساسي من كتاب: ما هو الفن الإسلامي؟ الترويج لفلسفة غائبة -حسب رأي الكاتبة- في الدراسات الأكاديمية الحالية، وتتلخص بالنظر إلى الفن الإسلامي باعتباره تجربة تفاعلية تجريبية لامرئية فحسب. وترمي الكاتبة من خلال هذه القراءة الجديدة إلى تقديم نموذج لتذوّق الفن يكسر الكولونيالية ويؤسس لمقاربات عالمية لتاريخ الفن. وهكذا يتعدى البحث عنوان الكتاب وتجاوزه ليكون محفزاً للباحثين على التفكير فيما إذا كان تاريخ تشكّل الفنون من منظور غربي نموذجاً مناسباً لتصور الأعمال الثقافية غير الغربية، فالكتاب غير معني بتعريف الصورة أو الفن أو الدين. ولكنه يتساءل عن معنى الفن إذا كان العضو المعني بالتذوق هو القلب، واستكشاف الحدود الفاصلة بين الحواس عند استقبالها العالم الخارجي.

قراءة: بلال أورفلي صفحة: 49

الفن العربي الحديث، تكوين الجماليات العربية

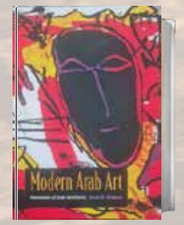

ندى شبوط

كتاب الفن العربي الحديث، صدر باللغة الإنجليزية للكاتبة والمؤرخة والفنانة ندى شبوط. ولشبوط كتابات في تاريخ الفن بعامة، و فنون الشرق الأوسط بخاصة. وهذا الكتاب هو أحدث كتاباتها. تبدأ المؤلفة في المقدمة بمناقشة السياق التاريخي والثقافي للفن العربي الحديث، وطرق التشكيل خلال السياقات الاجتماعية والثقافية، والفن النسائي، والخط، وتكون المدارس الفنية في كل من مصر والعراق. في الجزء الأول من الكتاب تعريف بالحقبة والتأثير العربي والرسامين الأوائل، وشرح اللبس الحاصل بين العربي والإسلامي في بدايات القرن العشرين. أما في الجزء الثاني من الكتاب فتشتغل شبوط على السياق التاريخي و الثقافي للفن العربي الحديث، والطرق التي استجاب بها الفنانون العرب للتغير الاجتماعي و السياسي و الثقافي. وبين التأثير والاستقلال والإبداع ظهرت المدرسة الفنية المصرية مع جورج حنين، والمدرسة العراقية مع جواد سليم، وتتحدث المؤلفة عن بصمة الفن الفلسطيني. وفي الجزء الثالث من الكتاب هناك عناية بالخط العربي وكيف صار اسلوباً مميزاً في التعبير الفني وإشكاليات التعالق مع الموروث في الخط المعاصر.

قراءة: سيسيليا عواد صفحة: 51

التعليم التقني والمهني، التطوير والإصلاح

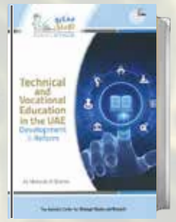

مبارك الشامسي

يتضمن الكتاب ستة فصول: الإمارات واقتصاد المعرفة (عن رؤية القيادة الإماراتية)، والتعليم المهني والتقني في الإمارات، والتدريب والتوظيف والتعليم المهني والتقني، وتأثير التعليم والتدريب التقني والمهني في التوظيف، وتحليل نتائج الدراسة المبنية على المقابلات والدراسة المسحية. و بعد الدراسة التفصيلية في كل فصل وخلالها يغني المؤلف مداخلاته بالمقابلات مع أصحاب القرار في هذا المجال مثل المعلمين وأولياء الأمور والطلبة ومديري المدارس. وهناك أيضاً المقارنات مع دول أخرى في المجال نفسه ومنها ألمانيا وبلجيكا وسويسرا وماليزيا وكوريا. وأبلغنا الكاتب أنّ دولة الإمارات جاءت في المرتبة الأولى عالمياً في قطاع التعليم والتدريب التقني والمهني ضمن مؤشر المعرفة العالمي (2022) الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

قراءة: محمد الزيودي صفحة: 56

عندما يغلق باب الصف

كريمة المزروعي

تهتم الباحثة كريمة المزروعي بالمدرسة الحديثة باعتبارها تلعب دوراً محورياً في بناء الفرد والمجتمع. وبعيداً عن التحليل الماكرو سوسيولوجي الذي يتناوله عادةً باحثو علم الاجتماع، تقوم الباحثة في كتابها: "عندما يُغلق باب الصف"، بتناول موضوع المدرسة بوصفها مؤسسةً للتنشئة الاجتماعية من زاوية أكاديمية متخصصة مايكرو تحليلية للتفاعلات التي تحدث داخل غرفة الصف، فتستشرف أهمية المدرسة التي تكون جهةً تُعنى بإنتاج أفراد متمكنين على المستوى النفسي والتخصصي انطلاقاً من تطبيق النظريات وطرائق التدريس الحديثة من قِبَل المعلّم المتمكن أيضاً الذي يرى في مهنته رسالةً يؤديها بحب وشغف للوصول إلى تحقيق المخرجات التربوية بكفاءةٍ عالية. أنجزت الباحثة المزروعي هذا الكُتاب بناءً على خبرات في الميدان التربوي لأكثر من ثلاثين عاماً، و من متابعة أكثر من 450 معلماً في مرحلة ما قبل الخدمة. ولذلك فإنّ الدارسة تقدم إطاراً نظرياً غنياً، وتجارب خبرة كبيرة بالنسبة للمعلّمين، ولإشكاليات التعليم الحديث وتطورات الذكاء الاصطناعي، بحيث تصبح المدرسة مرجعاً تعليمياً و تربوياً وأخلاقياً منتجاً للقيم السامية القائمة على الحوار، والمنفتحة على الآخر المختلف، ومحفّزاً على الإبداع والابتكار في المجالات كافة.

قراءة: فادي دقناش صفحة: 59

"التراث الإنساني هو هويتكم ورمز وحدتكم، فكونوا على قدر من المعرفة والتسامح"

الوالد المؤسس
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
طيب الله ثراه

مساق

إرث الشيخ زايد في التعايش السلمي

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
أول جامعة تُدرِج مساقا بعنوان
"إرث الشيخ زايد في التعايش السلمي"
ضمن برامجها ومساقاتها الأكاديمية

البرنامج الأكاديمي

يسلِّط الضوء على رؤية الوالد المؤسِّس الشيخ زايد، التي تعكس رسالة الإمارات الإنسانية إلى مختلف شعوب العالم.

يعزِّز أهداف الجامعة الاستراتيجية الخاصة بتبنّي ونشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي والانفتاح على الثقافات المختلفة.

يتيح للطلبة دراسة أفكار الشيخ زايد وتأثيرها في إرساء أسس أبرز القيم التي تؤمِن بها دولة الإمارات.

فجرُ كلِّ شيء:
تاريخٌ جديدٌ للبشريّة

The Dawn of Everything:
A New History of Humanity
David Graeber and David Wengrow

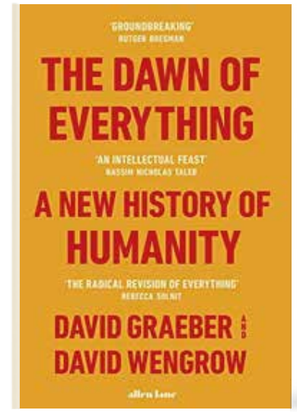

قراءة محمد بركات الطراونة
عضو هيئة تدريس
جامعة الحسين بن طلال، الأردن

مؤلفا الكتاب:

المؤلف الأول: عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي، (ديفيد غريبر)، عمل بداية حياته الأكاديميّة في جامعة ييل، وانتقل بعد ذلك للعمل في كلية جولد سميث في لندن، ثم أستاذًا في كلية لندن للاقتصاد، وله عدّة مؤلفات في الأنثروبولوجيا، واشتهر بالكتابة عن البيروقراطيّة والسياسات والرأسماليّة، توفي (غريبر) عام 2020م قبل نشر الكتاب، ونعَاهُ زميله (وينغرو) في مقدمة الكتاب.

المؤلف الثاني: هو عالم الآثار البريطاني (ديفيد وينغرو)، أستاذ علم الآثار المقارن في معهد الآثار في لندن كوليدج، نفّذ الكثير من التنقيبات الأثريّة في الشرق الأوسط وأفريقيا، وتركزت اهتماماته البحثية على أصول الكتابة، وتاريخ الفن، ومجتمعات العصر الحجري الحديث، وظهور الدول الأولى في مصر وبلاد الرافدين، وقد ألّف ثلاثة كتب، وله عدّة مقالات أكاديميّة في حقل الآثار.

يُعد كتاب (فجر كل شيء)، أحد أكثر الكتب مبيعًا منذ نشره للمرّة الأولى عام 2021م، يحاول فيه المؤلفان إعادة كتابة آلاف السنين من تاريخ البشريّة بطريقةٍ مختلفةٍ عن الطريقة الكلاسيكيّة المعهودة، وكيف انتقل الإنسان من حياة الصيد والالتقاط إلى بناء المدن، ومن العصور الحجريّة إلى الحياة الحديثة. وأصالة هذا الكتاب لا تكمُن في تقديم حقائق واكتشافات جديدة عن تاريخ البشريّة، وإنّما تأتي من الجمع بين الحقائق العلميّة المعروفة، التي تراكمت خلال العقود الأخيرة من البحث العلمي بصورة جديدة مشوِّقة، وتُقدم بأسلوب فلسفي، يأخذ القارئ في هذه الرحلة الزمنيّة من تاريخ الإنسان، هذه الرحلة في الواقع طريقة تفكير معاصرة ومختلفة عما اعتدنا عليه في وجهات نظر فلاسفة القرن الثامن عشر نحو نظرات: (جان جاك روسو، وتوماس هوبز) المتعارضة حول الإنسانيّة.

ودليل أهميّة هذا الكتاب أنّه لفت أنظار النُقاد والصحافة منذ الإعلان عنه، كما قُدّمت حوله الكثير من القراءات التي لم يخلُ بعضها من نقد الطروحات التي وردت فيه، ورأى آخرون أنّ الكتاب ذو قيمة كبيرة، ويشكّل إضافة مميزة لإعادة كتابة تاريخ البشريّة، ومن الجدير بالذكر أنّ غالبية هذه المراجعات والقراءات قدَّمها صحافيون، وليسوا علماء تاريخ وآثار متخصصين. ويلخص الكاتبان في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب هدف الكتاب بقولهما: إنَّ الكتاب لن يقدم فقط تاريخًا جديدًا للبشريّة، بل سيدعو القارئ إلى علم جديد للتاريخ، وهو الذي يعيد الأجداد إلى بشريتهم الكاملة.

قسَّمَ المؤلفان الكتاب اثني عشر جزءًا، أوّلها وداعًا لطفولة البشريّة، أو لماذا هذا ليس كتابًا عن أصول عدم المساواة؟ ويبدأ المؤلفان بالفكرة الجوهرية في دراسة إنسان العصور الحجريّة التي مفادها: أنّنا لا نعلم إلّا الشيء اليسير عن آخره 2000 عام في حياة البشريّة. فالرسومات الجداريّة التي استغرق رسمها أكثر من (10000) عام في أحد الكهوف، تخللها الكثير من الأحداث المُهمة التي لا نعلم عنها شيئاً. ويتكرر التساؤل عن عدم المساواة أكثر من مرّة في الكتاب، كيف علقْنا كنوع واحد في الخضوع الهرمي للسلطات السياسية؟ وانطلاقًا من هذا التساؤل، يُهاجم هذا الفصل فكرة أنّ البشر الأوائل عاشوا حياة بسيطة ومتساوية تماماً، كصيادين، وجامعي ثمار، ويتساءل الكتّاب عن سبب معاملة البشر بعضَهم بشكل غير عادل، وعن مبدأ الخير والشر، واقتصارهما على الإنسان من بين المخلوقات الأخرى على وجه الأرض، ثم بعد ذلك يقول المؤلفان: إنّ هذا السؤال لا معنى له. ويذكر المؤلفان خطاب جان جاك روسو في 1754م، عن أصل عدم المساواة وأنّ الإنسان كان يعيشُ لفترة طويلة في مجموعات صغيرة، امتهنت الصيد وجمع القوت، وتميزت ببراءة الطفولة، ثم جاءت الثورة الزراعيّة، وبعدها حياة المدن لينتهي هذا النمط السعيد، وتأتي بعد ذلك الحضارة، والدولة، والكثير من الأشياء السيئة، مثل الجيوش، والحروب. ولعلّ السبب في اختلاف النمط الأول من الحياة أنّ الإنسان عاش في مجموعات صغيرة، لها أهداف مشتركة، أهمّها استمرار حياتها، وحتى هذا النمط لم يخلُ من السلطويّة الذكوريّة والمصالح الذاتيّة. والمجتمعات الزراعيّة والمدن الأولى لم تكن دائمًا كما بدت في النظرة الباهتة لنظريّة التطور، حيث تخلو دائمًا من المساواة، ولم يكن فيها حاجة للرتب الطبقيّة والسّاسة والمحاربين وغيرهم، ولم تكن بحاجة للملكيات الخاصّة، وتميّزت الزراعة بسهولة الحركة خلال رحلة البشر، وهذا ما أكّده (تشارلز فوستر) في كتابه "أن تكون إنسانًا" وهو أنّ الوصول للزراعة أسهل من الخروج منها، ولكن التحوّل بين الرعي والزراعة كان مفهومًا واضحًا في العقود اللاحقة، وسببًا في تقسيم العمل، وبروز الملكيات الخاصّة وما تبعها من علل. ويرى المؤلفان أنّ (الثورة الزراعيّة) خلال العصر الحجريّ الحديث التي يُعتقد أنّ البشريّة استبدلت فيها لمساواة بالثروة والمكانة الاجتماعية، وهيكل الدولة لم تحدث؛ لأنّ التحوّل من البحث عن الطعام من خلال الصيد والالتقاط كان بطيئًا ومتقطعًا، ويَعتقد المؤلفان أنّ بدايات ما سُمِّي بالزراعة لم تتعدَّ بستنةً بسيطة، وعليه، ووفق رأي المؤلفين، لم يتطلب نشوء المدن الملوك والكهنة والبيروقراطيّة، ويستشهدان على ذلك بمستوطناتِ وادي السند التي لا تظهر فيها المعالم الدّالة على ذلك مثل: القصور والمعابد.

ويُضيف المؤلفان أنّ الغاية من هذه الكتاب هي إعادة ترتيب قطع هذه الأحجية، وإعادة كتابة التاريخ بأسلوب جديد مختلف عن رواية (هوبز وروسو) التي لا علاقة لها بالحقائق، ويدعو الكتاب إلى تحوّل مفاهيمنا عن التاريخ بعيدًا عن تجميع وغربلة الكمّ الهائل من المعلومات، ويحاول (غرايبر ووينغرو) تغيير هذه السرديّة باستخدام بُحوث علمَي الآثار والأنثروبولوجيا، ويقدمان مثالًا من سكان (أمريكا) الأصليين، وكيف أنجزوا منشآت ضخمة للتجمعات الجماهيريّة، رغم أنّهم باحثون عن الطعام، ووفق السرديّة السابقة فهم يعيشون حياة بسيطة.

ويتحدَّث المؤلفان بجرأة عن زاوية مهمة، وهي الابتعاد عن المفكرين الأوروبيين مثل (روسو)، ونقد السكان الأصليين للحضارة الأوروبيّة، ورؤية أوروبا كلاعب ثانوي ومنطقة غير جاذبة، ودور الاستعمار في تقديم أفكار جديدة صادمة أدّت في النهاية إلى رد فعل عنصري في رؤية السكان الأصليين كفئة أقل درجة على سلم التطوّر الحضاري، ويضيف المؤلفان أنّ السكان الأصليين عاشوا في عالم مختلف تمامًا، وسكنوا واقعًا مختلفًا كذلك، وأنّ الاسقاطات الأوروبيّة عنهم، خاصّة من المفكرين التنويريين، لم تكن إلّا مسرحية ظل وتخيلات (الوحشيّة النبيلة) التي استُخلصت من التقاليد الأوروبيّة نفسها، ويؤكد المؤلفان أنّ عدم المساواة الاجتماعيّة وجِد أصلًا في جنة عدن بين آدم وحواء، كما أشار فيلسوف القرن الثالث عشر (توما الأكويني)، لكن الملفت للانتباه ليس فقط أنّ مصطلح المساواة لم يكن يُستخدم من قبل مفكري العصور الوسطى في أوروبا بل إنّ فكرة المساواة لم تخطر ببالهم قبل زمن كولومبوس.

ويرى المؤلفان أنّ السكان الأوائل في أفريقيا قبل الخروج إلى بقية العالم؛ ليصبحوا أممًا وشعوبًا متنوعة كانوا أكثر تنوعًا جسديًّا من أيّ شيء نعرفه الآن، وأننا، البشر الحاليون، نبالغ بشكل كبير في اختلافاتنا البسيطة، وهذه المبالغة تأتي على الأغلب بنتائج كارثية نحو الحروب والقمع العنصري والعبوديّة، في حين يمكن تجاوز هذه الاختلافات بكلّ بساطة، فالإنسان عاش في أفريقيا خلال معظم تاريخنا التطوري، ولم يقتصر عيشه على منطقة محدودة هناك، بل شمل أفريقيا كلّها؛ حيث عزلت المظاهر الطبيعيّة المجموعات البشريّة عن بعضها لمددٍ زمنية طويلة، هذه العزلة والاختلاف وتعايش فئات مختلفة عن بعضها يوصلنا إلى الاعتراف، وفق (غريبر ووينغرو). إنّنا ما زلنا نجهل كثيرًا من تاريخنا خلال هذه المرحلة، والشيء الوحيد الذي نتفقُ عليه هو أنّنا جميعًا من أفريقيا، والتنوّع الكبير في البيئات التي عاش فيها الإنسان نتج عنه تنوّع كبير في التنظيم الاجتماعيّ لهذه المجموعات، وتباين واضح في القدرات الجسديّة عن الإنسان في عصرنا الحالي.

ويؤكد المؤلفان أنّ فرضية بعضنا بوجود طفرات متأخرة في الدماغ البشري تفسّر القدرات المتفوقة للأوروبيين خلال العصر الحجري القديم الأعلى يعدّ وهمًا لا يمكن الأخذ به، ويفسران ذلك بأنّ غنى الأدلة الأثريّة من أوروبا يعود إلى غنى الحكومات الأوروبية التي دعمت العمل الأثري الميداني في مواقع هذه الفترة في أوروبا، وهو ما لم يحصل في أجزاء أخرى كثيرة من العالم، ولكننا اليوم مع البعثات الأثريّة التي تعمل في مختلف الأماكن في أفريقيا والجزيرة العربيّة، نسمع عن وجود أدلّة مهمّة ومشابهة لما عُثر عليه في أوروبا.

ويُعرِّج المؤلفان بعد ذلك على موقع (غوبكلي تبي) في الأناضول، وهو من المواقع المهمة جدًا التي ارتبطت بمجتمعات الصيادين، وأظهرت دليلًا واضحًا على أنّ مجتمعات الصيد والالتقاط قد طورت مؤسسات/ تنظيمات دعمت أعمالًا عامةً ومشاريع مُنشآت ضخمة، وعليه فقد كان لديها نوع من التسلسل الهرمي الاجتماعي المعقّد قبل أن تتبنى الزراعة، ورغم أنَّ بعضهم يرى أن هذا الموقع حالة شاذة، إلّا أنّ الأدلة كثيرة على البناء من قبل الصيادين جامعي القوت.

في الفصل الأخير يقترح المؤلفان أن العنصر الخبيث في إرث (روسو) لا يتمثّل بفكرة "الهمجي النبيل" بل هو في فكرة "الهمجي الغبي"، ويعتقدان أنّهما تجاوزا العنصريّة الأوروبيّة في القرن التاسع عشر.

بعد ذلك تطرَّق المؤلفان إلى موضوع الموسميّة لدى الصيادين الجامعين للقوت، حيث تنتشر هذه المجموعات في أوقات موسميّة

معيّنة للصيد، ومن ثَمَّ تجتمع المجموعات ذاتها في أماكن معروفة، وليس الغرض من هذا التجمع الزراعة، هذا النمط كان موجودًا في أوروبا في المراحل المتأخرة من العصر الحجري القديم، وينطبق على موقع (غوبكلي تبي) في الأناضول.

ويسهب المؤلفان بعد ذلك في الحديث عن تحوّل الصيادين إلي الرعي ثم الزراعة، وكيف أسهمت الثورة الزراعيّة في زيادة تعداد السكان ذوي الإنتاج الفائض، هذه المهن وهذا التطور الجديد احتاج إلى بيروقراطيات لإدارة الجميع، وبالتالي أصبحت هناك سيطرة من أعلى للأسفل في هذه المجتمعات، ويؤكد المؤلفان أنَّ الفكرة التي مفادها: الزراعة أوجدت الدول الكبيرة، تحتاج إلى مراجعة، لكونها استنتاجات اعتمدت على ما توصل إليه علماء الآثار في مواقع معينة، والتحوّل إلى المدن بعد هذه المرحلة لا يعني التقسيم الطبقي الاجتماعي تلقائيًا. ولم يخفِ المؤلفان إعجابهما بالعديد من المستوطنات الكبيرة التي لم تظهر فيها طبقة حاكمة، مثل المواقع الأوكرانيّة، أو حضارة هاربان، ودول المدن المكسيكية التي اعتمدت على صنع القرار الجماعيّ، ويرى كل منهما أنّ هذا يشكّك في بعض افتراضات علم النفس التطوريّ في أنّ المجموعات البشريّة الأكبر تحتاج أنظمة معقّدة لتنظيمها. ويُعرّج المؤلفان على موقع (شاتال هويوك) في الأناضول كأحد أهم قرى العصر الحجريّ الحديث، وكيف كانت طبيعة حياة الإنسان في هذه القرية من نواحٍ مختلفة مثل الفن، وكيف فُسّرت دمية المرأة دائمًا على أنّها دليل على العبادة، بينما يمكن أن تكون غير ذلك، خاصة وأنّه لا يوجد دليل يظهر أنّ المرأة في الأناضول كانت تتمتع بمستوى حياة فضلى أو مختلفة عن الرجل. ويؤكد المؤلفان موضوعًا مهمًّا جدًا يرتبط بتنقيب قرى العصر الحجريّ الحديث ليس فقط في الأناضول وشاتال هويوك، وإنّما في غالبية مواقع هذه الفترة، فهذا الموقع لم ينقب منه إلا ما نسبته 5%، وهذه نسبة بسيطة جدًا مفادها أننا مانزال نجهل الكثير عن حياة الإنسان في هذه القرى، والمثال الآخر على حاجتنا لمزيد من الفهم لحياة الإنسان خلال هذه الفترة يتأتى من بداية تنقيبات (شاتال هويوك) في ستينات القرن العشرين، حيث اعتقد كثيرٌ من العلماء أنّ هذا الموقع يشكّل المهد الأول لتدجين الحيوانات، لكن تبيّن لاحقًا أنّ التدجين سابقٌ لوجود هذا الموقع بأكثر من ألف عام، وكان لمنطقة الهلال الخصيب دور كبير في هذا التحول الكبير في تاريخ البشريّة. ثم يركزان على دور منطقة الهلال الخصيب والشرق الأوسط في تقديم كثير من المعرفة حول هذه الحقبة، وكيف وصلنا لهذا المستوى من الفهم لهذه المرحلة من تاريخ البشريّة، وتركّز عدد كبير من التنقيبات الأثرية في مواقع هذه المنطقة الكثيرة. ويواصل المؤلفان: إنّ هذا الدور الكبير لمنطقة الهلال الخصيب والشرق الأوسط في الزراعة وانتشارها في مناطق أخرى كثيرة أسهم بشكل كبير في ظهور المدن التي اعتمدت على الزراعة بشكل كبير، وكانت بعض هذه المدن كبيرة لدرجة أنّ بعض السكان فيها لم يكن لديهم علم ببعض الأحداث الكبيرة فيها، ويتحدث المؤلفان بإسهاب عن هذه المدن، ويقدمان أمثلة من أوكرانيا ومن بلاد الرافدين، ويذكران عناصر كثيرة مثل القوة والعنف والكتابة ودورها الكبير في كتابة التاريخ. ثم ينتقل الكتاب للحديث عن حضارات أمريكا في هذه المرحلة من تاريخ البشريّة نحو: الأزتك، والأنكا، والمايا، ومدنهم ومنشآتهم الكبيرة وعلاقة الحاكم بهذه المنشآت.

وينتقل المؤلفان في الأجزاء الأخيرة من هذا الكتاب للحديث عن مفهوم الدولة ونشأة الدول، وينتقدان اعتبار حضارات الأنكا والأزتك دولًا أولية على الرغم من التنوع الكبير الذي قدمته هذه الحضارات، وفي هذا الجزء يعود المؤلفان للحديث عن موضوع حرية الحركة ومخالفة الأوامر وإعادة تنظيم العلاقات الاجتماعيّة، ثم يتحدثان عن الحضارة المصريّة والصينيّة.

وفي النهاية فإن السؤال الذي يطرحه المؤلفان مرارًا وتكرارًا، ودون الحصول على إجابة تامة له هو: كيف أصبحنا (عالقين) في نظام من التسلسلات الهرميّة وعدم المساواة الواضحة في السلطة والاستهلاك؟ ورغم محاولات الاستدلال تارة والتكهن تارة أخرى خلال هذا الكتاب للحصول على إجابة، إلّا أنّ هذه المهمة ليست بالشيء السهل، لكن المميّز والمثير للإعجاب في هذه المهمّة والمحاولة الفريدة من (غرير ووينغرو) دفعانا لإعادة النظر ليس في الماضي البعيد الممتد إلى آلاف السنين فقط، بل في الحاضر القريب جدًا، وما هي الأمور المشتركة التي تمثّل طبيعتنا البشريّة، لا شكّ أننا بحاجة إلى بذل مزيد من الجهد لإجراء مزيد من التنقيبات الأثرية خاصّة مواقع العصور الحجريّة، والأهم أيضًا أن نعيد النظر في تفسير وقراءة تاريخ البشريّة الطويل.

الصين تربط العالم:
مبادرة الحزام والطريق

China Connects the World:
What Behind the Belt and Road Initiative

Wang Yiwei

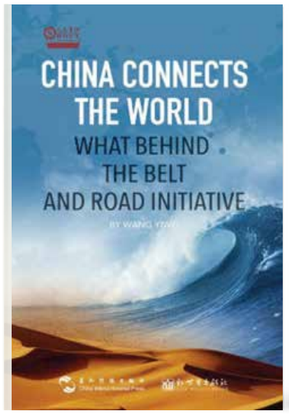

قراءة ناظم كمال
أستاذ جامعي

تعرضت مبادرة "الحزام والطريق" الصينية، لحملة تشكيك غربية، منذ الإعلان عنها رسميًّا وبدء بكين بحملة علاقات عالمية؛ لشرح أهداف المبادرة وفوائدها لكلّ الدول والشعوب التي ستنخرط فيها.

هذا الكتاب يشرح منطلقات هذه المبادرة، وأهميتها، وامتداداتها، ومنافعها ويدافع عن أهدافها في وجه الاتهامات الغربية.

يقول المؤلّف إن الغربيين، وحتى بعض العلماء الصينيين، يُطلقون على مبادرة الحزام والطريق اسم "خطة مارشال الصينية"، مع العلم بأن "طريق الحرير" هو اسم عام للطرق الثقافية والتجارية التي يعود تاريخها إلى ألفي عام بين الشرق والغرب، وأوّل من صاغ هذا الاسم رجل ألماني يُدعى فرديناند فون ريختهوفن، ويرى الكاتب أن التفكير في مشروع مارشال، كاسم مرجعي للمبادرة تضييق للأفق، و إن رواية قصة جيدة عن الحزام والطريق ينبغي أن توقظ الذاكرة المشتركة لمختلف الحضارات، بما في ذلك أوروبا، وتعمل من أجل الوصول إلى التجديد المشترك، وتكريس جدول أعمال الأمم المتحدة لعام 2030م للتنمية المستدامة.

وينقل المؤلّف عن الرئيس الصيني، (شي جين بينغ) قوله: "إذا تمّ تشبيه الحزام والطريق بجناحي آسيا الصاعدة، فإن ترابطهما يشبه الشرايين والأوردة".

ويشير الباحث إلى أنّ بنك الاستثمار الآسيوي للبنية التحتية ومبادرة الحزام والطريق، ليسا سوى جزء من الترويج العالمي للصين؛ فالشعب الصيني، وكذلك علماؤه، يجب أن يكونوا أوّل من يسرد قصصًا عظيمة عن بلده.

يوضح المؤلّف أنّ مبادرة الحزام والطريق نشأت في الصين، لكنها تنتمي إلى العالم كله؛ فلقد أصبح النظام الاقتصادي عالميًّا، بينما بقي الهيكل السياسي للعالم قائمًا على الدول القومية، وهذه نقطة الضعف في الحوكمة العالمية، وعليه، فإنّ نجاح مبادرة الحزام والطريق يعتمد على قدرتها على حلّ أكبر القضايا التي تهم المجتمع الإنساني في أثناء حلّ مشاكل الصين المحلية، ومن منظور تاريخ الحضارة الإنسانية والعولمة، يمكن أن تصبح المبادرة مختبرًا للأفكار الجديدة للنظام الدولي.

يقول المؤلّف إن البشر يعيشون في قرية عالمية مقسّمة: اليابسة والمحيطات، الدول المتقدمة والدول النامية، الأساسية والهامشية. ويتساءل: كيف يمكننا منع البلدان النامية التي تضم 80 في المئة من سكان العالم من الخسارة عند خط البداية؟ كيف نساعد المناطق غير الساحلية في الوصول إلى المحيط، وتحقيق دول الجنوب التصنيع، من أجل تعزيز الإحياء المشترك للحضارات البشرية؟

ويجيب قائلًا: إن هذه قضايا رئيسة في عصر العولمة، وإنه من دواعي قلقنا أنّ العولمة المتمركزة في الغرب منذ العصر الحديث لم تتغيّر، لكنها تعزّزت، حتى إن التوزيع العالمي للإنترنت عزّز الهيمنة الأميركية، لأن الابتكارات التكنولوجية تعمل فقط على جعل الأقوياء أقوى والضعفاء أضعف.

ويوضح أن مبادرة الحزام والطريق هي، بشكل عام، هيكل الإصلاح الشامل والانفتاح والإطار الاستراتيجي لدبلوماسية الجوار في الصين، وأنّ المبادرة سوف تحوّل التركيز على "التوجه نحو العالمية"، ومن خلال تطوير المنطقة الغربية في الصين، سيتم تنفيذ استراتيجية الانفتاح على الغرب والجنوب. ولجهة عمق الانفتاح، ستتّبع الصين اتجاه التكامل الاقتصادي العالمي والإقليمي، وستسرّع تطبيق استراتيجية منطقة التجارة الحرّة القائمة على الدول المجاورة، وستحقّق التدفق الحرّ للسلع، وستجلب رأس المال والقوى العاملة.

يقول الكاتب: إن مبادرة الحزام والطريق هي أوّلًا شبكة نقل أوراسية (أوروآسيوية): شبكة متكاملة ومتعددة الأبعاد، تتكوّن من السكك الحديدية، والطرق، والخطوط الجوّية، والطرق البحريّة، وخطوط أنابيب النفط والغاز، وخطوط النقل، وشبكات الاتصالات.

ينقسم الحزام الاقتصادي لطريق الحرير ثلاثة خطوط: الخط الشمالي- الجزء الرئيس- وهو الجسر البري

الأوراسي (بكين - روسيا - ألمانيا - شمال أوروبا)، والخط الأوسط، ويشغل الجزء الرئيس منه خطوط أنابيب النفط والغاز الطبيعي (بكين - شيان - أورومكي - أفغانستان - كازاخستان - هنغاريا - باريس)؛ وخط الجنوب، ويشغل الجزء الرئيس منه الطرق السريعة العابرة للحدود (بكين - جنوب شينجيانغ - باكستان - إيران - العراق - تركيا- إيطاليا - إسبانيا).

ويركّز الحزام الاقتصادي لطريق الحرير على الجمع بين الصين، وآسيا الوسطى، وروسيا، وأوروبا (دول البلطيق)، كما يربط الصين بالخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط عبر آسيا الوسطى وآسيا الغربية؛ ويربط الصين بجنوب شرق آسيا، وجنوب آسيا والمحيط الهندي، ومن الواضح أنّ كل هذه الجهود تهدف إلى مساعدة الدول غير الساحلية في البحث عن مناطق للوصول إلى البحر؛ مما سيربط اليابسة بالمحيط.

يقوم المؤلّف، عبر فصول الكتاب العشرة، بتشريح رؤيته لأبعاد مبادرة الحزام والطريق وجوانبها، والتي تمثّل في جوهرها "العولمة المتصيّنة"، أو "التصيّن العالمي". ويقصد به المؤلّف مسار الانفتاح الشامل والمتعدد المستويات والأكثر شمولًا.

وكمثال، فقد تخطّت المبادلات التجارية للصين مع دول "الحزام والطريق" تريليون دولار في العام 2015م، وهو ما يعادل ربع مجموع التجارة الخارجية للصين.

وعلى حسب الخطة الخمسية الثالثة عشرة، وخلال السنوات الخمس الماضية، توقع الكاتب، أنْ ستستورد الصين بما قيمته عشرة تريليونات دولار من البضائع، وأن تتجاوز استثماراتها الخارجية 500 مليار دولار، وسيبلغ عدد الصينيين الذين يسافرون للسياحة في الخارج 500 مليون شخص، وستكون دول الحزام والطريق المجاورة للصين أول المستفيدين.

وإذا كانت هناك كلمة تلخّص مبادرة الحزام والطريق، فيجب أن تكون "الترابط"، الذي يجب أن يكون - على حسب الرئيس الصيني شي جين بينغ- اتحادًا ثلاثيّ الاتجاهات، من البنية التحتية، والمؤسسات، والتبادلات من الناس إلى الناس، والتقدم في المجالات الخمسة لسياسة الاتصال (الحوار والتنسيق والتعاون المشترك والتبادل الكلي وتعزيز الثقة)، وترابط البنية التحتية، وخط التجارة، وتدفّق رأس المال، والتفاهم والتعايش بين الناس.

وبينما تمتلك الدول الأخرى أيضًا حلم الترابط العالمي، فإن الصين مجهّزة بالقدرة الأقوى لتحقيق هذا الحلم، وعلى حسب البيانات المنشورة من قِبل الأمم المتحدة، فإن الصين هي الدولة الوحيدة في العالم التي تمتلك جميع القطاعات الصناعية التي يبلغ عددها 371 قطاعًا؛ يقول الكاتب إنه يجب أن تكون الفئات الصناعية كاملة، لأن مبادرة الحزام والطريق تتطلب عددًا كبيرًا من الصناعات، وتكمن الأهمية في العناصر الثلاثة في النظام الصناعي والدفاعي وهي أن يكون النظام متكاملًا، ومستقلًا، وشاملًا؛ فهناك ثلاث دول في العالم تمتلك أنظمة صناعية ودفاعية كاملة: الولايات المتحدة، والصين، وروسيا.

ومن المسائل أو القضايا الأساسية الأخرى التي تطرّق إليها المؤلّف، ولها علاقة بمبادرة الحزام والطريق، تلك التي تتسق مع ما سمّاه: منطق العولمة، ومنطق الحضارة، والمنطق الاستراتيجي، والمنطق الاقتصادي، والمنطق السياسي، والمنطق الدبلوماسي، والمنطق الإدراكي.

حول مبادرة الحزام والطريق ومنطق العولمة، يقول المؤلّف إن الصين تهدف إلى استبدال التحديث التنافسي الذي أنشأه الغرب بالتحديث المشترك لدول الحزام والطريق، وإلى تعزيز وجود أوراسيا متناغمة مع الرخاء المشترك الذي يجلب السلام الدائم والأمن العالمي؛ وبالتالي، فإن مبادرة الحزام والطريق محاولة لتحقيق التواصل الأوراسي والعولمة الشاملة.

وكمثال، فقد أعادت الصين تعريف الإنترنت، وهي تقود فهم الناس له، وتروّج لفكرة إدارة الإنترنت العالمية، فالإنترنت أوّلًا تكنولوجيا؛ وثانيًا صناعة؛ كما هو بنك للمعلومات؛ وهو نموذج للإنتاج، وبنية تحتية، إنه وطنٌ مشترك للبشرية.

ويرى المؤلّف أنّ الصين دولة اشتراكية وحضارة شرقية قديمة، وينبغي عليها أن تساعد الناس الذين لا يستخدمون الإنترنت، ليس فقط على ركوب القطار السريع لثورة المعلومات، ولكن أيضًا على تحقيق تجاوز المنحنى، وفي عصر المعلومات، يجب تعريف مستقبل الصين من كونها دولة رائدة عالميًّا بعد تحقيق تجاوز المنحنى، وتجاوز المسار من خلال الاستفادة من الإنترنت.

حول مبادرة الحزام والطريق ومنطق الحضارة، يعتقد المؤلّف أن نجاح المبادرة يكمن في الحضارة، وفي ما إذا كان ميراثنا وابتكارنا بشأن حضارة طريق الحرير يمكن أن يقودا حضارة جديدة للإنسانية، حيث إنّ مستوى الحضارة والثقافة الصينيتين والشخصية الأخلاقية للشعب الصيني تحدّد ما إذا كان من الممكن بناء الروابط بين الشعبين؛ لذا، فإن المنافسة بين نماذج التنمية ومنطق الحضارة مفتاح نجاح المبادرة الصينية.

لقد بدأ الأوروبيون بالعولمة، ثم تفوّق عليهم الأمريكيون، وتمر الخدمات اللوجستية البحرية في العالم بشكل رئيس عبر المحيطين الأطلسي والهادئ، وفي هذا السياق، ستقوم مبادرة الحزام والطريق ببناء حزامين اقتصاديين بين هذين المحيطين من أجل جعل العالم يتطور بطريقة أكثر توازنًا ومن أجل تعزيز إحياء الحضارات الأرضية.

كما ستحاول المبادرة إطلاق نمط من العولمة على الأرض للتحوّط من مخاطر العولمة في البحر، والتي ستعيد التبادل والتعلّم المتبادل بين الحضارات لتحقيق السلام والازدهار في أوراسيا، حيث إن المبادرة مستعدة لاحتضان حضارة إنسانية جديدة بفكرة "خمسة في واحد"، والتي تعني بناء الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة والبيئة.

عن المنطق الاستراتيجي في مبادرة الحزام والطريق، يقول المؤلّف: إن المبادرة تتقدّم عبر الزمان والمكان، وتؤدّي إلى التفاعل بين البرّ والبحر، وبين الجهات الفاعلة الداخلية والخارجية، وتنفذ من الشرق إلى الغرب باتجاهين، مما يجعلها تتجاوز جميع الاستراتيجيات الكبرى في العصور القديمة.

أما في الحقبة الجديدة، فقد ورثت المبادرة الفكر الاستراتيجي العسكري للزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونغ ودفعت به إلى الأمام للتحرّك وإنشاء قواعد وحدائق نفوذ خلفية، والتي يمكن تسميتها مسيرة طويلة جديدة.

يقول المؤلف إن مبادرة الحزام والطريق إجراء استراتيجي للصين للتعامل مع المناطق المجاورة الكبرى لها، حيث ستؤثّر هذه المناطق على كيفية حضور الصين، ونموّها، وازدهارها، وتحاول الصين تشكيل مجتمع المصالح المشتركة، ومجتمع المسؤولية المشتركة، ومجتمع الأمن المشترك في المناطق المحيطة بها، وأخيرًا بناء مجتمع المستقبل المشترك. كل هذا سيسهم في زيادة نفوذ الصين العالمي وقوّتها الناعمة.

حول المنطق الاقتصادي لمبادرة الحزام والطريق، يلفت المؤلّف إلى أن الصين تنتقل من المستوى المنخفض إلى المستوى العالي في التقسيم العالمي لنظام العمل؛ وقد ارتقت مزاياها من تكاليف العمالة إلى التكنولوجيا ورأس المال، وينصّ المنطق الاقتصادي للمبادرة على أهمية مساعدة البلدان على طول الطرق لبناء بنيتها التحتية الصلبة والناعمة، وذلك لتوسيع السوق الأوروبية-الآسيوية والأفريقية، والكفاح من أجل الحصول على ميزة وضع المعايير في التكنولوجيا ورأس المال.

إن المبادرة هي اقتراح للتعاون الاقتصادي العالمي والإقليمي.

وبالتالي، إنّ منطقها الاقتصادي هو الأكثر جوهرية والأغنى، بما يشمله من أفكار مثل التكامل الاقتصادي المحلي، ونظام مزدوج الحلقة (التعامل الصيني مع الدول المتقدمة والدول المتأخرة معًا) والتعاون المربح للجانبين.

والمبادرة، في جوهرها، هي ثورة كبرى وعميقة ومترابطة لإعادة تشكيل الجغرافيا الاقتصادية.

وبالنسبة للصين، فإن الترويج الفعّال لثورة الجغرافيا الاقتصادية، وثورة المرور، وثورة الطاقة، وثورة الإنترنت، وثورة التحضّر، هو لتعزيز اقتصاديات الإنتاج الكبير والتدفق الحر، وتعزيز جميع أنواع البنى التحتية، وتضييق فجوة الدخل بين المناطق الحضرية والريفية، والحدّ من نسبة السكان الذين يعانون من الفقر المدقع، والعديد من الميزات الأخرى.

أما بشأن المنطق السياسي لمبادرة الحزام والطريق، فيتحدث المؤلّف عن فرص تتيحها المبادرة أمام الدول، تتمتع بثلاث مزايا رئيسة؛ تجاوز المنعطف، وتجاوز تغيير المسار، وإحياء الحضارة.

الصين والدول العربية:

عن تجاوز المنعطف، وبعد أن يقدّم مصر كأنموذج وكقيادة، يستنتج المؤلّف بأن الصين والدول العربية (النامية) ستَدمج في إطار مبادرة "الحزام والطريق" استراتيجياتها التنموية، وستسعى إلى توليد الزخم الكافي من التحوّل الصناعي والتحديث، وستسرّع مفاوضات اتفاقية التجارة الحرّة بين الصين ودول الخليج العربي وبناء مناطق صناعية رئيسة، وستعزّز التعاون في مجالات النفط والغاز والبنية التحتية.

وحول التجاوز في تغيير المسار، يقول المؤلّف إنه كما أتاحت مبادرة الحزام والطريق فرصة لتجاوز تغيير المسارات إلى البلدان النامية، ولتجنّب الاعتماد على الدول المتقدمة من حيث النظام، ونمط التنمية وطريقة التفكير، يجب على البلدان النامية أن تغتنم فرصة إعادة الهيكلة الصناعية وثورة المعلومات، لتغيير المسار بشجاعة واستكمال التجاوز. والآن قد حان الوقت المناسب حيث يمرّ الاقتصاد الصيني في فترة تحوّل من النمو السريع إلى النمو متوسط السرعة؛ وهي فرصة لإعادة التوازن.

أما المقصود من "إحياء الحضارة"، فيقول المؤلّف: بأن مبادرة الحزام والطريق هي اقتراح للتعاون ولإنتاج السلع العامة التي تسهم بها الصين في العالم. ومع صعودها وتطوّرها وازدهارها، تشجّع الصين الدول المجاورة لها على الصعود والتطور والازدهار؛ وهو يقصد بها أوراسيا وأفريقيا وجنوب المحيط الهادئ.

ألمانيا في العالم
Germany in the World

David Blackbourn

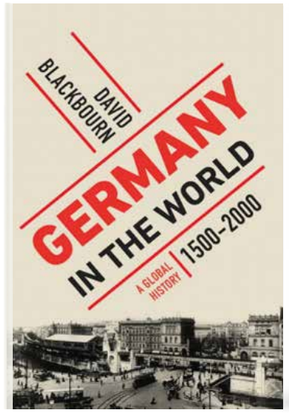

محمد السماك
كاتب لبناني
معني بالحوار الإسلامي- المسيحي

صحيح أن الكتاب كبير (800 صفحة)، ولكنه غير ممل . إنه مشوق جداً . الكتاب يتحدث عن جوانب وآثار الحروب في وسط أوروبا وغربها بين ألمانيا وفرنسا والتي استمرت ثلاثين عاماً (من 1618 حتى 1648).

صحيح أنّ تلك الحروب أدّت إلى مقتل سبعة ملايين عسكري ومدني من الطرفين الألماني والفرنسي .. وصحيح أنها كانت كارثة إنسانية كبيرة، إلا أنها أدّت في الوقت ذاته إلى هجرة علماء ألمان إلى مناطق أخرى آمنة في أوروبا ، وخاصةً إلى بريطانيا، حيث أبدعوا في العلوم والدراسات، أمثال: صموئيل هارتلب وأثناسيوس كيرشر وسواهما.

ويتحدث المؤلف، وهو أستاذ التاريخ في جامعة تنيسي بالولايات المتحدة عن مساهماتهم العلمية بكثير من التقدير والإعجاب. ويعزو إلى تلك الكوكبة من العلماء الألمان المهاجرين، وضع الأسس والقواعد للنظريات العلمية التي قامت عليها النهضة الأوروبية الحديثة.

تجدّدت هذه الظاهرة بعد الحرب العالمية الثانية أيضاً. إذ إنّ مجموعةً من العلماء الألمان هاجرت إلى أوروبا والولايات المتحدة. وكان من بينهم أبو القنبلة النووية الأمريكية أوبنهايمر، وصاحب نظرية النسبية في الفيزياء آينشتاين.

يقول المؤلف إن العالِم صموئيل هارتلب الذي تحوّل من الكاثوليكية إلى الإنجيلية الكالفانية، هاجر إلى لندن وأقام فيها في عام 1630، وهناك صاغ نظريات مبتكرة في علوم الرياضيات والفيزياء والبصريات، وفي العلوم الطبيعية، وعلم النباتات والحدائق العامة وتربية النحل، وفي الزراعة وتخطيط الحدائق. كما صاغ نظريات في الصحة العامة والفنون. من أجل ذلك لُقب بـ "عالِم أوروبا العظيم".

ومن كبار المعجبين به، كما يقول المؤلف ، علماء كبار أمثال: جون ميلتون، وأدباء كبار أيضاً أمثال: جون أفلين الذي كتب فيما بعد قصة حياة هذا العبقري الألماني الذي هاجر من بلاده رافضاً الحرب ليجد في لندن واحة آمنة لإنجاز إبداعاته العلمية المتعددة.

أما العالِم الثاني الذي تحدث عنه المؤلف بإسهاب فهو اثناسيوس كيرشر. وخلافاً لصموئيل هارتلب، كان كيرشر كاثوليكياً، بل كان استاذاً للعقيدة الكاثوليكية. وقبل هجرته إلى لندن وقع في أسر القوات الإنجيلية، وحُكم عليه ميدانياً بالموت شنقاً على أن تُلقى جثته في نهر الراين. ولكنه نجا من الأمرين ولجأ أولاً إلى روما (إيطاليا) حيث مارس التدريس الجامعي وأصبح عضواً في شبكة من العلماء تضم 760 عالِماً في مختلف المعارف واعتُبر واحداً من أهم علماء عصره.

ويقول المؤلف إنّ من حق الألمان أن يفاخروا بأبناء وطنهم الذين أسهموا بشكل كبير في النهضة الأوروبية من خلال علمائهم الذين اضطروا للهجرة من بلادهم هرباً من ويلات الحروب. فقد كان لهم دور عملي وفكري كبيران في استحداث العديد من النظريات العلمية الحديثة، وفي إقامة المؤسسات الثقافية والعلمية. وكذلك في استحداث شبكة من العلماء عبر أوروبا بلغ عدد أعضائها في ذلك الوقت 760 عالماً. من أجل ذلك يقول المؤلف إنّ العلماء المهاجرين الألمان (في الدياسبورا) تركوا بصمات عميقة في الحياة الثقافية العالمية وفي إقامة مؤسسات علمية ساهمت فيما بعد في تحقيق العولمة بسرعة أكبر.

ويؤكد أن دور العلماء الألمان في الأدب والفلسفة لا يقلّ أهميةً عن دورهم في العلوم، وكذلك في الموسيقى، وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. حتى النظريات الألمانية العلمية حول التربية والتعليم كانت عميقة الأثر في تكوين الأسس التي قامت عليها المدارس الفكرية الأوروبية المتعددة فيما بعد.

ويقول المؤلف أيضاً إنه يعود للعلماء الألمان الفضل في وضع الأسس الحديثة التي اعتمدتها دول أوروبية عديدة لتنظيم مراكز الأبحاث والدراسات، بما في ذلك: رياض الأطفال والأندية الرياضية، حتى الجامعات في إطارها الحديث. فقد بدأت ألمانيّة كلها، ثم جرى تعميمها عبر أوروبا شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. وربما يكون من المهم هنا التذكير بأن المؤلف دافيد بلاكبورن ليس ألمانياً!

كذلك يقدّم المؤلف صورة مشرقة عن مساهمة المهاجرين من العلماء الألمان في أوروبا في توسع الإمبراطوريات الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية. ويقول إنّ علماء وخبراء ألمان ساهموا بشكل كبير في عملية التوسع الأوروبي من خلال العمل في البعثات الاستكشافية وأنهم ساهموا كذلك

في توسع المستعمرات الأوروبية في العالم من دون أن يقيموا لألمانيا مستعمرة خاصة. فقد كانوا جنوداً، وبحارة، وتجاراً. كما كانوا أطباء وعلماء ومبشّرين وحتى مهاجرين تحت أعلام الدول الأخرى التي كانوا يعملون لها ومعها.

ويؤكد المؤلف أنه بعد عام 1500، وخلال الثلاثمائة عام التالية كانت للألمان مساهمات كبيرة وأساسية في قيام الامبراطوريات الأوروبية في العالم. وسواء كان ذلك حسناً أو سيئاً فقد كان لهم دور كبير أيضاً في تجارة العبيد (من افريقيا)؛ ولم يكن ذلك الدور لحساب ألمانيا، إنما لحساب الدول التي هاجروا إليها، وخاصة بريطانيا واسبانيا والبرتغال. وساعدهم في كل ذلك نظرتهم الثقافية العنصرية نحو الشعوب غير الآرية!

ويشير المؤلف إلى أنّه في القرن الثامن عشر مثلاً اعتمد الألمان نظريات محددة حول "العنصرية" ويتحدث عن الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" وعن دوره في النهضة الأوروبية ، ويقول: "إنّ هذا الفيلسوف وصف العنصرية بأنها تمييز طبقي بين حيوانات تنحدر من جنس واحد من خلال الوراثة".

كما يشير إلى أنّ "كانط" ومقلّديه من العلماء الألمان أمثال: يوهان فريدريخ بلومنباخ لم يكونوا بصدد اقتراح "وراثة عنصرية"، كما فعل لاحقاً كريستوف ماينرز الذي صاغ وصفاً للاختلاف العنصري ليكون أساساً للنظرية العنصرية وتبريراتها، من خلال تجريد السود واليهود من إنسانياتهم.

ومن الأدوار التاريخية الهامة وغير المباشرة للمهاجرين الألمان إلى أوروبا أيضاً، ربط وسط أوروبا بغربها ، وهو دور لم يكتمل إلا بعد قيام الإتحاد الأوروبي.

ويلاحظ المؤلف أنّ صعود "الوطنية الألمانية" في النصف الأول من القرن التاسع عشر وقيام الرايخ في عام 1871 تحت السيادة البروسية استخدم كل هذه النظريات واستند إليها. وحاول "الرايخ" ليس فقط تأمين مصادر المواد الخام والأسواق لتطوره الصناعي، ولكنه حاول أيضاً وبدرجة كبيرة استعادة ما خسره من الإمبراطوريات الأوروبية الأخرى. حتى أنه وجد في إقامة المستعمرات والتوسع في أوروبا مصادر للطاقة لتطوير الصناعة الألمانية وليجعل من هذا التوسع معلماً من معالم التفوق الثقافي الألماني.

وهكذا كان إلحاق الهزيمة بفرنسا في عام 1871 إعلاناً بالتفوق العسكري الألماني.

وينقل المؤلف عن وزير خارجية ألمانيا في ذلك الوقت برنارد فون بيلو قوله: "إنّ دور ألمانيا في العالم لم يعد يحدده المفكرون والكتّاب، ولكن تولّت تحديده ممارسة القوة الوطنية. ذلك أن ألمانيا سوف تستعيد مكانتها تحت الشمس".

لم تكن تلك مجرد نظرية. فقد تحولت إلى ثقافة وطنية عامة. ومنذ عام 1900 بدأت ألمانيا تنظر إلى العالم من منظار جديد بثقة وأمل، كما قال المؤلف البروفسور بلاكبورن في كتابه.

وهذا ما قاد ألمانيا فيما بعد إلى التماهي مع العنف العسكري ومع الديكتاتورية النازية. وفوق ذلك كله مع الهولوكوست على حد قول المؤلف أيضاً.

لقد تناول الكتاب الدور العلمي والثقافي للعلماء والمثقفين الألمان الذين هاجروا من بلادهم هرباً من الحروب وويلاتها (1618-1648). ولكن ماذا عن أولئك الذين آثروا البقاء في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية (1936 - 1945)؟

يجيب على هذا السؤال كتاب آخر[1] صدر هذا العام أيضاً عن دار نشر راندوم. ومؤلف هذا الكتاب بورخرد بيلغر أميركي يتحدر من أصول ألمانية، ويروي فيه بصورة خاصة قصة جدّه الذي عمل بحماس وتفان مع القوات النازية. ويعكس عنوان الكتاب مضمون الرسالة التي يريد أن يوصلها المؤلف، وهو "آثام الأجداد".

ولد المؤلف نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية في عالم ممزق. وورث مع جيله تركتين: ثقافة الصمت والدمار. فالمدن الألمانية كانت أكواماً من المباني المنهارة تحت القصف، والملايين من الألمان كانوا مهاجرين داخل ألمانيا ذاتها. ولم يكن أحد منهم يجرؤ أو يعرف ماذا يقول عن الأسباب التي أدّت إلى تلك النتائج الكارثية.

ويقدم المؤلف جدّه كارل غونر نموذجاً. فقد كان جندياً في الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الأولى، وتولى مهمات التدريس والإدارة في بلدة بارتنهايم في مقاطعة الألزاس التي احتلتها ألمانيا من فرنسا.

ويقول المؤلف إن جده كونراد عاد بعد انتهاء الحرب في خريف 1918 إلى ألمانيا نصف أعمى (بعد أن فقدَ زميلاً له بانفجار لغم أرضي أودى بحياته) حاملاً آثار الحرب في نفسه استعداداً للحرب المقبلة، التي لم تتأخر طويلاً حتى انفجرت على الجبهات ذاتها.

بقي الشعور بالخوف من الحرب ومآسيها عالقاً في أعماق الشخصية الألمانية بما تركته من بصمات تدميرية عميقة وشاملة في الإنسان وفي الحجر طوال الحربين العالميتين الأولى والثانية وما سبقهما من حروب أوروبية - دينية طاحنة كانت ألمانيا شريكاً فيها.

ويقدم المؤلف صورة إنسانية مؤثرة عن ذلك فيقول إنه خلال حرب الخليج الأولى (تحرير الكويت من القوات العراقية التي احتلتها في عام 1990) بادرت عائلات ألمانية عديدة إلى تخزين الطعام والماء كرد فعل احترازي. مع أنّ ألمانيا لم تشارك في الحرب ورغم أنها تبعد آلاف الكيلومترات عن الخليج العربي.

في كتابه "ألمانيا في العالم" يقدم المؤلف بلاكبورن صورة من الداخل الألماني عن دولة لعبت دوراً محورياً في صناعة ثقافة الحرب والسلام في أوروبا والعالم. وهو دور ترك بصمات عميقة في المجتمعات الأوروبية المختلفة. ويأتي كتاب "آثام الأجداد" ليكمل الصورة كاشفاً عن بصمات تلك الثقافة على الشخصية الجماعية للشعب الألماني نفسه في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، واستمراراً حتى اليوم.

1-الكتاب: آثام الأجداد Sins of the Grandfathers المؤلف: بورخرد بيلغر Burkhard Bilger الناشر: راندوم هاوس Random House الصفحات: 336

على حدود التاريخ:
إعادة التفكير في حدود شرق آسيا
ON THE FRONTIERS OF HISTORY:
Rethinking East Asian Borders
Tessa Morris-Suzuki

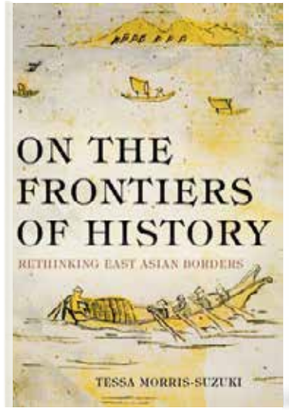

قراءة حبيب البدوي

ضمن الفسيفساء المعقدة للتاريخ العالمي، يبرز مفهوم الحدود كحقيقة ثابتة أزلية، بما في ذلك شرقنا العربي. ولكن مفهوم الحدود غامض بحد ذاته، فهو من إرث الاستعمار الغربي لتحديد الدول والمناطق والهويات. ومن هنا السؤال، هل يمكن أن تكون هذه الحدود، المحمية بالجيوش والأسلاك الشائكة والتحصينات الخرسانية، مجرد هياكل تعسفية مصبوبة من قبل يد التاريخ المتقلبة التي صاغها الغرب بقوته العسكرية بعد تحقيقه للثورة الصناعية؟

الكاتبة هي البروفسورة تيسا موريس - سوزوكي[1]، وهي باحثة معروفة في مجال الدراسات اليابانية، مع التخصص الدقيق في العلاقة مع الشرق الآسيوي. أعمالها البحثية تركز على التاريخ الاجتماعي والثقافي لليابان في القرن العشرين، كما تبوأت مناصب أكاديمية مرموقة عالمياً، وشاركت في العديد من المشاريع البحثية والمؤتمرات الدولية. تعتبر الدكتوره سوزوكي واحدة من أبرز الشخصيات في مجال دراسات اليابان والشرق الآسيوي، وقد أثرت بشكل كبير في تطور هذا المجال من خلال عملها وإسهاماتها البارزة، وهي تعمل حاليًا كأستاذة في دراسات آسيا والباسيفيك في جامعة الأسترالية الوطنية.

يبحر البحث الأكاديمي الراقي للدكتورة سوزوكي تحت عنوان "على حدود التاريخ: إعادة التفكير في حدود شرق آسيا"[2]، بمهارة في هذه المتاهة، ويكشف عن النسيج المعقد لحدود شرق آسيا، مع إعادة تعريف النماذج ذاتها التي دعمت منذ فترة طويلة فهمنا للحدود أقصى الشرق، ولكن أليس لشرقنا الأوسط نصيباً من هذه الحدود الاستعمارية التي حبكها الغرب؟

في هذه الدراسة المتعمقة القراء مدعوون للقيام برحلة فكرية تتحدى الأفكار الراسخة عبر الزمن الحاضر، والتي تشمل الحدود والدول في الشرق الآسيوي، ويمكن إسقاطها على معظم دول العالم الثالث. من خلال التعمق في دراسات الحالة والتحليلات النظرية، تكشف البروفسورة سوزوكي النقاب عن بانوراما خلابة للمجتمع الإنساني في تلك الأصقاع، لتتساءل عن إعادة تصور التركيبات الحدودية الحالية التي تملي تصوراتنا وفهمنا لتلك المنطقة الجغرافية وأهلها.

في صميم نهج الدكتوره سوزوكي يكمن "مفهوم الحدود"، وهي تلك الخطوط الثابتة التي تحدد الدول والمناطق، وهي ليست الحقائق الجغرافية الحقيقية التي تفصل بين المجتمعات الإنسانية. فهذه الحدود المصطنعة هي نتيجة الأحداث التاريخية المعقدة، وديناميكيات القوة، والمناورات السياسية. الكتاب يضع حجر الأساس لفهمنا لواقع تلك الحدود، ويكشف عن النزعة الإنسانية حول تأثير الحدود على حياة السكان، والصراعات التي تنأتى منها، وبالتالي الروايات التي تتحدث عن تشكلها، ومن ثم تحولها لرمز للسيادة الوطنية، والتي من المفترض الدفاع عنها "بالروح والدم وكل نفيس".

على الرغم من هذا التوجه الرئيسي للكتاب، فإن مسعى الدكتوره سوزوكي لا يتوقف عند حافة النقد للنظام الحالي القائم، بل يسعى لتقديم بديل مقنع لتعريف الفوارق، وبالتالي الفواصل بين المجتمعات، ما بين المركز (بخاصة العواصم والمدن الكبرى) والأطراف الحدودية. لذا فإن الافتراضات الأساسية للكتاب تلقي الضوء على التفاعل الديناميكي بين الحدود، وسياقاتها التاريخية، والثقافية، والمجتمعية، سعياً لحدود أكثر إنسانية.

بالاعتماد على نهج دقيق، يكشف الكتاب ببراعة عن طبقات من التعقيد في المجتمعات الإنسانية التي تعيش ممزقة بين الحدود، والتي تم تجاهلها تاريخيا عند إقرار الخرائط الحالية، وبالتالي تزويد القراء بفهم أكثر عمق للمسارات المتعددة الأوجه لتشكل كيانات شرق آسيا، وبالتالي بقية أرجاء العالم الثالث، بما في ذلك أمتنا العربية.

إن المسار السردي للكتاب آسر مثل فرضيته. يبدأ الكتاب رحلته الاستكشافية من أطراف الأراضي الحدودية في شرق آسيا، ويوسع عدسته تدريجيا لتشمل الطيف الأوسع لديناميكيات تشكل الحدود الحالية إقليمياً وعالمياً. يوضح هذا النهج كيف أن المناطق الحدودية تحمل المفتاح لمعرفة فتح الروايات التاريخية والألاعيب السياسية التي شكلت تلك القواطع الحدودية. ومن خلال سرد حكاية تلك المناطق التي قسمتها الخرائط، تتحدى الدكتوره سوزوكي عقيدة الحدود الوطنية ككيانات بلورية ثابتة.

من بين الأبعاد الأكثر جاذبية لعمل الدكتوره سوزوكي إصرارها على إعادة تعريف التأريخ نفسه. فهي تدعو إلى اتباع نهج تاريخي لا يسعى فقط إلى استعادة القصص غير المروية، ولكن رفع صوت أولئك الذين يسكنون المناطق الحدودية. بذلك تستكشف الدراسة ببراعة طبقات عميقة من الرواسب التاريخية لتكشف عن عدد لا يحصى من وجهات النظر، وكذلك ردود الفعل، للمجموعات الإثنية المتنوعة تجاه إنشاء الحدود وفقاً لأهواء من لم يعش فيها، وذلك في سردية تتميز بالتعاطف مع السكان الأصليين.

يوجه الأسلوب النثري للدكتورة سوزوكي القراء بمهارة عبر متاهة فكرية ممتعة، حيث تتصادم الحقب التاريخية والثقافات المحلية والهويات الوطنية، والتي تتشابك جميعاً لتفرز الواقع السيادي الحالي. وبذلك يضيء الكتاب على الجوهر المتناقض للحدود. فالقرار التعسفي في نشأتها كان قوياً في تأثيره التوليدي، ليصبح الوضع الحالي واقعاً لا بد من الإقرار جبراً به، وبالتالي ضرورة التأقلم مع تبعاته. وتجدر الإشارة إلى أنه من خلال التدقيق الدقيق في الخلفيات التاريخية والمناورات السياسية، يكشف الكتاب عن ميل الواقع الحدودي الحالي وخرائطه للتعتيم بنفس قدر ما تكشف تفاصيله، فالبنود السرية في المعاهدات الدولية لم تكشف بعد. ومن هنا مرة جديدة يمكن المقارنة بين الحدود في شرق آسيا وغربها، حيث تتواجد حواضرنا العربية.

تدقق الدكتوره سوزوكي ببراعة في مفاعيل حقبة الحرب الباردة على الشرق الآسيوي، وتكشف بحنكة التركيبة الاستعمارية المزدوجة لكل من التطلعات الإمبريالية والاستكشاف الثقافي. فبالاعتماد على الرؤى متعددة الأبعاد لعالم الأنثروبولوجيا الأمريكي جوليان ستيوارد مثلاً، تؤكد الدكتوره سوزوكي كيف يمكن للدراسات الأكاديمية، التي تم بعثها منذ البداية بنوايا استراتيجية توسعية، أن تتطور إلى أبحاث استعمارية فوقية، تناظر عن النسبية الثقافية والفهم الاجتماعي والخلفية الحضارية للشعوب الأصلية. على سبيل المثال: يربط "الفصل الثاني" ببراعة فلسفة التنوير وعصر الاستكشاف والتأثير التحويلي لتقنيات رسم الخرائط، ليقدم هذا التقدم العلمي نموذجاً جديداً للحدود فحسب، بل يعيد تعريف تصورات الزمان والمكان لصالح المستعمر المحتل. فالأطلس الغربي المستحدث لا يعمل فقط كأداة لرسم الخرائط، ولكن أيضاً يعرض رؤى وتصورات عن التنوع والتجانس والتنافر داخل أراضي الخرائط المرسومة.

تكمن السمة المميزة للمقاربة العلمية للدكتوره سوزوكي في دعوتها إلى كتابة "تاريخ جديد"، هذا التاريخ يجب أن يحتضن وجهات نظر متنوعة فيما تساعد بلاغة السرد على إلقاء الضوء على الطبيعة المتناقضة "للحدود - التعسفية". كما يتحدى هذا العمل الأكاديمي بشكل مباشر النماذج الراسخة وطنياً للحدود، وذلك من خلال تقديم عدسة علمية جديدة يمكن من خلالها فهم مفهوم الحدود، وتحقق ذلك من خلال تشابك دراسات الحالة مع التحليل النظري لتوفير فهم شامل وعميق للواقع الحالي في الشرق الآسيوي.

عبر السعي إلى شرح النسيج الاجتماعي المعقد للمناطق الحدودية لشرق آسيا، تحفز الدكتوره سوزوكي القراء للتفكير في مجموعة من الأسئلة الوجودية، مثل: لماذا نعتنق دون تحفظ عقيدة الحدود الوطنية التي تحدد دولنا على أنها ثابتة ومقدسة، بينما هي هياكل هشة قابلة للتغيير؟ وكذلك كيف تعيد هذه الحدود تشكيل الحياة اليومية للمجتمعات المحلية؟ (كونها تجزئ الواقع الجغرافي).

جوهر مقاربة الدكتوره سوزوكي يكمن التأكيد الجريء على أن الحدود الحالية بعيدة كل البعد عن الأصالة التاريخية والثبات المستقبلي. فهذه الحدود هي تركيبات تعسفية مصبوبة من خلال الأحداث التاريخية والمناورات السياسية وديناميكيات السلطة إقليمياً ودولياً. إن هذه الحدود المصطنعة، إضافة إلى كونها مجرد خطوط خرائطية غير ضارة، فهي تمتلك القدرة على تشكيل الحياة للسكان المحليين، وكذلك التحريض على الصراعات المسلحة، وبالتالي التأثير المستدام سلبياً على طرق المعيشة هناك.

من بين الجوانب الأكثر تفاعلية في الكتاب تحديه الجريء للنماذج التقليدية، فهو يكشف عن نسيج فكري غني ينتقد هذه المقاربات العلمية الحالية باعتبارها مفرطة في التبسيط والاقتباس، مما يؤكد الحاجة إلى نهج أكثر دقة وإنسانية. فالهدف الأسمى هو نقلة نوعية تعترف بالسياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات المحلية، ليتم من خلالها تصور الحدود الجغرافية وإدراك تأثيرها. ومن خلال تفكيك مفهوم الحدود الجامدة، تقدم المؤلفة فحصا ثاقبا لطبيعة الحياة على تلك المساحات الجغرافي الموجودة بين معظم دول العالم، ولا تقتصر على الشرق الآسيوي.

إن المسار المنهجي للكتاب يتمتع بجاذبية تجذب القارئ العادي والباحث الأكاديمي، حيث ينطلق من أصقاع بعيدة في شرق آسيا

1. Morris-Suzuki, T. (2023). Tessa Morris-Suzuki - Research Profiles. Australian National University. Retrieved from
2. https://researchprofiles.anu.edu.au/en/persons/tessa-morris-suzuki
   Morris-Suzuki, T. (2018). On the Frontiers of History: Rethinking East Asian Borders (Global Thinkers Series). ANU Press. http://doi.org/10.22459/OFH.2020

ويتوسع تدريجياً ليشمل كامل الخريطة الحدودية لتلك المنطقة الآسيوية. يسمح هذا المسار المتصاعد في طرح المعلومات وتحليلها لكل من القارئ والباحث؛ لكي يتمكنا من اكتشاف وتمييز كيف تحمل هذه الأماكن النائية المفتاح المعرفي لفهم الروايات التاريخية والمنحنيات السياسية التي تشكل الواقع الحدودي الراهن. وهنا يكشف النقاب عن العمليات المعقدة التي تكمن وراء إنشاء السيادات الوطنية بشعاراتها الحالية، إلى جانب الثغرات والصراعات والتناقضات التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا.

في الواقع، يتجاوز هذا الكتاب عالم السعي السردي المجرد، إنه بمثابة دليل مضيء للأبحاث الأكاديمية المستقبلية التي تهدف إلى فك رموز النسيج الغامض لحدود شرق آسيا. وبذلك لن يتردد صدى تأثير هذه المقاربة الجديدة داخل حدود الأوساط المتخصصة بالجغرافيا التاريخية فحسب، بل يتعداها في إطار النقاشات الأكاديمية الأوسع نطاقا التي تشمل علوم التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والعلاقات الدولية.

إن التحول النموذجي الذي تدافع عنه الدكتوره سوزوكي يتردد صداه دعوةً واضحةً لتأريخ متجدد، ينخرط الباحث في حوار مع الماضي لتحليله، بدلاً من فرض روايات صارمة عليه. يجبرنا هذا النهج على تجاوز المونولوجات التاريخية والمشاركة في الحوارات التي تعبر الحدود وتحتضن التنوع. علاوة على ذلك، فإن السرد الماهر للمحطات الرئيسية عبر العصور التاريخية والتحولات الثقافية المصاحبة لها والتغيرات على صعيد التركيبة السكانية يظهر الازدواجية المعقدة بين الحدود والهوية. فالحدود لا تعني فقط الخطوط على الخرائط، بل تتقاطع مع الهويات الفردية والجماعية للسكان، وغالباً ما تسفر عن عواقب وخيمة على حياتهم. لذلك فإن استكشافها الدقيق يبرز نسيج معقد لتعريف الذات والانتماء والوطنية.

من خلال رؤية "على حدود التاريخ"، لم تقم الخبيرة موريس سوزوكي بإعادة تعريف الخطاب المحيط بحدود شرق آسيا فحسب، بل أمدتنا بأداة قوية للتنقل في المشهد المتطور باستمرار للتجربة الإنسانية. إنها تدفعنا إلى الشروع في استكشاف مستمر للتاريخ والحدود، وفهم التفاعل المعقد بين المركز والأطراف وزودتنا أيضا بمرجع على محكم لصياغة مفهوم الحدود الدولية، بما في ذلك في منطقتنا العربية.

"على حدود" يدعونا إلى رؤية التاريخ من خلال عدسة متغيرة، عدسة تكشف عن النسيج المتشابك للحدود الوطنية مع التجربة الإنسانية. يحثنا استكشاف موريس سوزوكي على إجراء دراسة نقدية للطبيعة التعسفية للحدود والروايات الوطنية التي نتغنى بتشكلها.

باختصار، "على حدود التاريخ: إعادة التفكير في حدود شرق آسيا" هو أكثر من مجرد كتاب - إنه يمثل بيانا لإعادة تصور كيفية إدراكنا للعلوم الاجتماعية والتاريخ، والجغرافيا، وكيفية دراستها، وتحليلها، وكذلك نقدها. إنه يحث الباحثين والقراء على التعامل مع الحدود بفطنة، والنظر في الروايات خارج الخطوط المرسومة، والصندوق الضيق.

فن الكتاب المقدس المفقود:
إنقاذ النصوص المقدسة

The Lost Art of Scripture:
Rescuing the Sacred Texts

Karen Armstrong

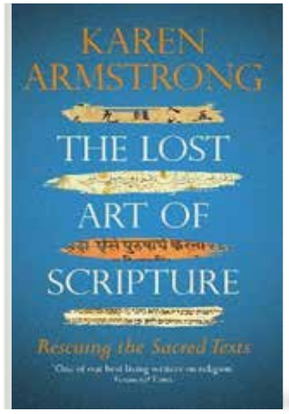

قراءة زياد السلامين
عضو هيئة التدريس
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

كارين أرمسترونج باحثة ومستشرقة بريطانية مشهورة في حقل تاريخ الأديان، تركّزت اهتماماتها بشكل كبير على الموضوعات الدينية، ولها الكثير من المؤلفات، أبرزها: "الكتاب المقدس: سيرة حياة"، و"محمد نبي زماننا"، و"حقول الدم: الدين وتاريخ العنف"، و"تاريخ الرب"، ويستدرك الكتاب الذي نعرضه هنا ما جاء في كتاب تاريخ الرب المذكور آنفًا، حيث يُمثّل جولة قصصية بانورامية في التاريخ الديني، وخلاصة للفلسفة الدينية العالمية؛ إذ تعرض فيه المؤلفة الأديان الرئيسة في العالم، في فترات مختلفة من مراحل تطورها، وفي مجموعة من السياقات الجغرافية، وتبدأ كتابها بتطور العهد القديم العبري، ثم تقفز إلى الهند بحثًا عن أصول الفيدا، وتنتقل بعد ذلك للحديث عن الصين، وعزرا، وكونفوشيوس، والهندوسية وكتبها وعقائدها، وتُعرِّج على بعض الشخصيات الدينية الفلسفية، كالفيلسوف الكونفوشيوسي (منسيوس)، و(ماهافيرا)، مؤسس الديانة الجينية، و(لاوتسي)، مؤسس الفلسفة الطاوية، و(بوذا).

وتتحدَّث بعد ذلك عن التقاليد الدينية التوحيدية اليهودية، والمسيحية، والإسلامية، وتناقش كيفية مواجهتها الظلمَ الاجتماعي، وتؤكِّد أن الكتب المقدسة ينبغي ألا تُفسَّر تفسيرًا حرفيًّا؛ لأنها كُتب تتسم بالمرونة والاتساع على التأويل، كما أن القراءات الخيالية، والمجازية، والإبداعية، للنصوص المقدسة يمكن أن يكون لها ثقل موازٍ للقراءات الحرفية والأيديولوجية لهذه النصوص، وتستنتج غير مرَّة أنّ القراءات الحرفية للنصوص المقدسة عديمة الفائدة، وقد تكون ضارةً وقاتلةً أيضًا.

ولئن أشار عنوان الكتاب إلى أنه يتناول الدرس بمسألتيْ "الضياع" و "الإنقاذ"، إلّا أنّ مؤلفته لم تشرح بشكل مرضٍ سبب "ضياع" الفن أو الحاجة إلى "إنقاذ" النصوص المقدسة في هذا العمل الواسع النطاق والمثير للجدل، ولكننا نُلفيها تؤكِّد تطورَ فهم الدين ونصوصه بمرور الوقت، وتتساءل: إذا بدت النصوص المقدسة، شفهية كانت أو مكتوبة، غير متوافقة مع العالم الحديث، فهل يعود ذلك إلى ضياع الغرض الأصلي منها؟ وهل ما تزال الكتب المقدسة تخاطبنا اليومَ؟

تستهل المؤلفة حديثها في بداية الكتاب عن قصة آدم وحواء، ثم تنتقل للحديث عن بلاد الرافدين، والسبي البابلي الأول، وتؤكِّد هنا أنَّ الإسرائيليين قد طوروا النسخة الأولى من نصِّهم المقدس بناءً على معاناتهم ونفيهم، ولكنهم فقدوا اتصالهم بعد ذلك بالمعتقدات الأساسية، وانحرفت أطرهم السياسية عن مبادئ المساواة، وبدأ حماسهم للعدالة الاجتماعية يتضاءل، فتزامن مع السبي البابلي الثاني حرقُ البابليين لمملكتهم ومعابدهم، واستمدوا ذاكرتهم الثقافية آنذاك ممن سبقهم من اليهود المنفيين بغيةَ مقاومة محاولات إبادة حضارتهم في المنفى، فكانت إحدى أنجع الاستراتيجيات التي تبنّوها هناك -على حسب ذكر المؤلفة- تذكُّر النصوص ، وهذا ليس من خلال قراءتها فحسب، بل من خلال ترديدها، ونجم عن ذلك صياغة كتاب مقدس جديد متأثر بطقوس وأساطير رافدية قديمة.

وتنتقل المؤلفة بعد ذلك للحديث عن الهند، وقدوم الآريين في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد إلى منطقة البنجاب الباكستانية، وتُشير إلى أن المجتمع الآري احتوى، من ضمن أشياء أخرى، على مكونات روحية؛ فمثّل كتابهم المقدس، وهو الذي قدَّم روحانية دينية طقسية، وجهةَ نظرهم العالمية، وتؤكِّد أنّ الآريين قد اكتسبوا شعورًا بالاحترام والامتنان، فضلاً عن فلسفة اللاعنف التي تبنوها.

ثم تنتقل المؤلفة إلى الحديث عن غزو قبيلة (تشو) الحربية للصين، وظهور الأخلاق في الديانة الصينية آنذاك، التي ارتبطت فيها السياسة بالدين ارتباطًا وثيقًا منذ ذلك الحين، ثم تتحدَّث عن الفيلسوف الصيني كونفوشيوس، الذي دوَّن أتباعه محاضراته وأقواله الحكيمة في كتاب عرف باسم "المنتخبات الأدبية" بغية تنظيم العلاقات بين الناس، وتعزيز العطف والرحمة، ونُقِّحت هذه النصوص لاحقًا، وهي تتضمَّن

في غير قليل منها على المبادئ الأخلاقية التي تحضُّ على الرحمة، وعمل الخير، والإيثار، وتأكيد أهمية التربية، وأصبحت "الكلاسيكيات الخمسة" المنسوبة لكونفوشيوس تُشكّل أساس الكونفوشية، وتختلف اختلافًا كبيرًا عن الكتابات الدينية الحالية، ولكنها كانت مرنة، وتمَّ تنقيحها باستمرار على مر العصور لتعكس احتياجات كل فترة.

وتتحدث المؤلفة بعد ذلك عن بوذا، الذي بلغ التنوير، أو النيرفانا، وحضَّ على الامتناع عن كل أنواع الشر، من خلال تطوير السلوك الأخلاقي والتأمل والحكمة، وممارسة اليوجا (التأمل) باعتبارها الطريقة الأكثر فاعلية للوصول إلى الحقيقة الأعلى.

ومع مرور الوقت، قام الفلاسفة الصينيون والأكاديميون البوذيون بتغيير الأفكار الكونفوشيوسية لجعلها ذات صلة بعصرهم، فظهرت مدرستان بوذيتان هما: الثيرافادا والماهايانا، وتتفقان على التعاليم الأساسية لبوذا، وتشتمل الثيرافادا على أقدم تعاليم بوذا، وتتميَّز بالفهم النفسي للطبيعة البشرية، وتؤكِّد أهمية النهج التأملي.

وبعد حديثها عن بوذا تنصرف الكاتبة للحديث عن الهندوسية، التي تمثلت فيها تقاليد الهند وصور حياتهم وأخلاقهم، وهي ديانة متطورة بدأت منذ زمن الآريين المبكر، وتشتمل كتبهم المقدسة "الفيدات" على عقائدهم وقوانينهم، وهي كتب على شكل أناشيد، ومن أقدمها الريج فيدا، الذي يحتوي ترانيم دعائية وابتهالية، ومن كتبهم أيضا الأوبانيشاد، الذي يُمثل خلاصة الفكر الفلسفي الهندي، بالإضافة إلى ملحمة المهابهاراتا، التي ظهرت على شكل قصائد شعرية تتحدَّث عن الحب والحرب، ثم تحوَّلت إلى نص ذي دلالات دينية.

ثم تُعرِّج المؤلفة على أبرز العقائد الهندوسية وهي: "الكارما" التي تنص على أنّ لكل فعل يقوم به الإنسان عواقب أخلاقية، تتناسب مع ذاك الفعل نفسه، هذا بالإضافة إلى "السمسارا" أو تناسخ الأرواح و"الموشكا"، التي ترتبط بالانعتاق والتحرر، ثم تنتقل للحدث عن تجميع البوراناس في الهند بين 500 و 1500 م، وهي أدبيات قديمة أعيدت كتابتها، حيث أضفت الطابع الديمقراطي على الدين الهندي بطريقة جديدة، كما ظهرت السيخية في القرن الرابع عشر، ودعت إلى التوحيد ونبذ التعددية.

وفي حديثها عن المشرق المتوسطي، تقول المؤلفة إنّ الإسرائيليين كانوا يتعاملون مع واقع سياسي جديد تمثَّل في غزو القوى الاستعمارية، وازدياد التأثيرين اليوناني/الروماني على الديانة اليهودية، بعد تدمير الإمبراطور الروماني تيتوس للقدس عام 66م، وفي هذه الأثناء- على حسب ما ترى هذه الكاتبة- بدأ ظهور اليهودية الحَبرية (الربانية أو التلمودية)؛ فعُدِّل نص العهد القديم العبري لجعله أكثر صلة بالناس وبواقعهم الجديد. وازدادت شعبية يسوع الناصري، إذ بشرت الكتب المقدسة لأتباعه بعهد جديد، ولكن وحشية الحكومة الرومانية الجديدة سيطرت على عالم يسوع، الذي وفَّرت سياسته بديلًا عن عنف الإمبريالية، وأعطت رسالته الشرق القديم أملًا جديدًا. وفي هذا المضمار تطرَّقت المؤلفة للنقاشات الجدلية التي دارت حول طبيعة المسيح، حيث اعتقد بعضهم أنّ يسوع جاء من الله بأعجوبة، بينما رجَّح آخرون أنّ يسوع لم يكن سوى رجلٍ تمكَّن من الوصول إلى الألوهية.

تحدَّثت المؤلفة بعد ذلك عن الإسلام، وعرضت لبدايات ظهوره وللفتوحات الإسلامية، وأشارت إلى أنّ حملات عمر بن الخطاب العسكرية، لم تكن مستوحاة من الدين، فلا يوجد نص قرآني يُلزم المسلمين بغزو العالم، ولكن كانت دوافع عمر اقتصادية بحتة، وتؤكِّد أنّ سبب انتشار الإسلام بسرعة لاحقاً، وعلى نطاق واسع، لم يكن بسبب القوة العسكرية، لكن لأنّه قدَّم بديلاً أكثر إيجابيةً من الأرثوذكسية المتشدِّدة التي تطوَّرت في ذلك الوقت في بيزنطة، كما قدَّم منظوراً أكثر شمولية حول الانسجام المجتمعي.

فقد كان الغرض من الجهاد-على حسب رأي المؤلفة- نشر قيم القرآن، وتحرير الشعوب برمتها من الاستبداد، فالقرآن لا يتضمَّن تعليمًا منهجيًّا للقتال، ولم يكن هناك لجوء غريزي للعنف عند المسلمين على الرغم من انزعاجهم من الاستعمار وعواقبه، ولم يكن للعلماء المسلمين البارزين علاقة بالثورات العنيفة، أو نشر بذور الكراهية، وترى أنّ سيد قطب هو الذي أدخل روح التشدّد والتطرّف في الخطاب الإسلامي الحديث.

تتحدَّث المؤلفة عن مكانة المرأة في الإسلام، وتُعرِّج على النظرة الغربية التي تستنكر القرآن باعتباره كارهًا للنساء، وتعارض هذا الطرح مستدلة بنزول سورة خُصِّصت في جزء كبير منها للنساء، كما نزلت آية أخرى بعد سؤال أم سلمة للرسول عن عدم ذكرهن في القرآن الكريم، إذ أشار الرد الإلهي إلى أنّ للرجال والنساء في الإسلام المكانة والمسؤوليات نفسها، واستنتجت المؤلفة أنّ القرآن يقف بقوة إلى جانب المرأة، في الوقت الذي لم تكن فيه للنساء الغربيات أيّة حقوق قانونية، أو حقوق ملكية، حتى القرن التاسع عشر.

وفي هذا الشأن تُشير المؤلفة إلى تطور فهم الإسلام والقرآن بمرور الوقت، وتُشدِّد على أنّ أصول الإسلام مرتبطة بالرحمة والعدل، لكن المتطرفين أخرجوا القرآن من سياقه. وتؤكِّد أنّ الفظائع الإرهابية المرتكبة باسم الإسلام، قد دفعت الكثيرين إلى افتراض أنّ القرآن كتاب عنيف بطبيعته، وترى في الوقت نفسه أنّ الجهاد في القرآن لا يرتبط أساسًا بالحرب، بل بالمقاومة اللاعنفية؛ لأنّ كلمة الجهاد تُشير إلى النضال والكفاح، فعادة ما ترتبط عبارة "الجهاد في سبيل الله" بالصبر، ولا سيما أنّ المسلمين تعرضوا في مكة للإيذاء الجسدي واللفظي من قبل خصومهم، فبدلًا من الانتقام بعنف، حثَّهم القرآن على "النضال" للرد على مثل هذه المعاملة السيئة بصبر هادئ طويل الأناة.

وفي حديث المؤلفة عن التصوُّف الذي كان شائعاً في جميع أنحاء العالم باستثناء العالم المسيحي، أكَّدت حقيقةَ أنّ الصوفية في الإسلام قد نشأت كرد فعل على الاعتقاد بأنّ القرآن لا يمكن تفسيره إلّا من قبل علماء الدين، فابتكر الصوفيون تقنيات التأمل التي تضمَّنت الإنشادَ بالتزامن مع المواءمة الجسدية الدقيقة.

تتبع جاذبية الصوفية جزئيًّا -على حسب المؤلفة- من فكرة أن الوحي لا يقتصر على الماضي، لكنه متاح لأي شخص، ينفتح على النص، وقد لامست الصوفية جزءًا عميقًا من الروح الإسلامية، على الرغم من أنّ العالم الإسلامي ككل كان لديه اهتمامات أكثر إلحاحًا من العقيدة الصوفية، فتبني علماء الدين تفسيرات أكثر عدوانية للقرآن نتيجة الغزوين الصليبي والمغولي، وتمَّ إحياء مفهوم الجهاد كرد فعل على هجوم خارجي مستمر، وليس بسبب وحشية القرآن كما يرى بعضهم.

وفي الغرض نفسه، تحدثت المؤلفة عن التصوُّف بين المجموعات اليهودية، والذي تمثَّل في ظهور مذهب القَبَالة، في أواخر القرن الثالث عشر بين اليهود المقيمين في إسبانيا وبروفنسة، وكان القباليون يتطلعون إلى لقاء الله من خلال رموز العهد القديم، مثلما سعى الصوفيون إلى التواصل مع الله بطريقة تتجاوز الكلام، وكان أساس هذا المذهب الأفكار التلمودية، كما تبنى أتباعه شروحات ومعتقدات روحانية فلسفية متأثرة بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية.

خصَّصت المؤلفة الجزء التالي من الكتاب للحديث عن أوروبا، واستهلت حديثها بمجيء اللاهوتي الإيطالي توما الأكويني في القرن الثالث عشر الميلادي، والذي أعدَّ اللاهوت نوعًا عقلانيًّا من العلم، في محاولة بطولية للتوفيق بين الكتاب المقدس المسيحي والعقلانية المنطقية، ثم انتقلت للحديث عن الألماني مارتن لوثر الذي غيَّر العالم المسيحي بشكل لا رجعة فيه في القرن السادس عشر، عندما اعترض على صكوك الغفران، ورفض الإيمان بالسلطة البابوية، واتهم البابا، ورجال الدين، بالانحراف عن المبادئ الدينية الكتابية، ورأى أنّ لكل امرئ الحق في تفسير الكتاب المقدس؛ لأنّ للمؤمن علاقة مباشرة مع ربه، وليس بحاجة إلى وسيط، وأصرَّ على أن الشيء الوحيد الذي يحتاجه المسيحيون للتواصل مع الله هو الكتاب المقدس، وليس الكنيسة.

غيّر الإصلاح البروتستانتي بشكل لا رجعة فيه- على حسب المؤلفة- مواقف المسيحيين تجاه الكتاب المقدس، واستجابةً لهذه التطورات التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية، عُقد مجمع ترينت بدعوة من البابا بين عامي 1545م و 1563م، كرد فعل على الإصلاح البروتستانتي، ولتفنيد أفكار مارتن لوثر وأتباعه الذين اكتسبوا مكانة في أوروبا، ولإعادة تأكيد المعتقدات الكاثوليكية التقليدية، حيث شكَّل هذا المجلس عائقًا أمام صعود البروتستانتية في أوروبا ومحاولة لإحياء الكنيسة الكاثوليكية.

أجبرت الأوضاع السياسية اليهود في الأندلس مع نهاية القرن الرابع عشر على التنصُّر، فظهرت طائفة من اليهود المتخفين الذين تظاهروا باعتناق المسيحية الكاثوليكية بدلًا من اليهودية، وعُرفوا باسم المارانوس الذين أجبرتهم محاكم التفتيش على التنصُّر، ولكنهم استمروا بممارسة شعائر دينهم اليهودي سرًّا.

وفي الوقت نفسه، لم يتخلَّ العلماء والفلاسفة عن إيمانهم بالله، وكافحوا لاكتشاف دليل على وجوده في الكتاب المقدس، واستنتجت المؤلفة أنّ التفكير القائم على الأدلة، والاستدلال المبني على البراهين، قد أثّرا على الأنظمة الدينية في جميع أنحاء العالم بعدة طرق، حيث بدأ العلماء الأوروبيون في القرن السادس عشر باستخدام المنطق بدلًا من الكتاب المقدس؛ لتفسير الدين، فادّعى الفيزيائي البريطاني إسحاق نيوتن أنّ حركة الكواكب، وحركة الأرض، هي أدلة على وجود الله، واستخدم المعرفة العلمية ليؤكِّد أنّ لهذا الكون خالقًا، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها العلم، وليس الدين، لشرح قوة المسيحية.

تُشير المؤلفة إلى اكتساب الإنجيلية البروتستانتية شعبية في أمريكا في منتصف القرن التاسع عشر، وإلى فقدان الأوروبيين اتصالهم بخيالهم السحري؛ بسبب تركيزهم الكامل على العقل، فحلَّ الشك محل الثقة، ولعب هذا الواقع الجديد دورًا في أكثر القرون عنفًا في أوروبا، وحاول الأوروبيون فرض أيديولوجياتهم على مستعمراتهم، وأصبحت الهندوسية بحلول منتصف القرن التاسع عشر متشابكة مع المفهوم القومي الهندي، وبدأ بعد ذلك التنافس بين قادة السيخ، والهندوس، والمسلمين، ونمت الجماعات المتطرفة هناك تبعًا لكل ذلك.

تعقد المؤلفة في هذا الكتاب مقاربات مذهلة، بين الديانات العالمية ونصوصها الدينية، وتستنتج أنّ الكتب المقدسة كانت على الدوام شكلًا من أشكال الفنون التي تهدف إلى إثارة الشعور بالشفقة، وبحساسية التعاطف، والحنين إلى الماضي: ففي حين وفَّرت تلك الكتب نظرة ثاقبة للاهتمامات السياسية، والفكرية المعاصرة، إلّا أنها غدت كل ما يمتلكه الجيل الجديد من المتعصبين الدينيين، والجماعات الأصولية، التي ظهرت كرد فعل على الأزمات، وباتوا يرون في الدين قوة قتالية، وهو أمرٌ مؤسف واجتهاد غير صحيح، وينتشر في كل الأديان، ولا بدّ من مكافحته.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

اللُّغةُ العَربيَّة واللِّسَانِيَّاتُ التَّطْبيقيَّة

الفرص و التطلعات

27-28 سبتمبر 2023

اختتمت في أبوظبي أعمال مؤتمر اللغة العربية واللسانيات التطبيقية: الفرص والتطلعات، الذي نظمه مركز التميز في اللغة العربية بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية يومي السابع والعشرين والثامن والعشرين من سبتمبر الجاري، بمشاركة 40 باحثاً ومختصاً من 26 جامعة، يمثلون 22 دولة حوّل العالم، وبحضور ما يزيد على 700 مهتم باللغة العربية من الباحثين والطلبة حيث نوقش ما يزيد على 30 ورقة بحثية من خلال ست جلسات علمية. فضلا عن خمس كلمات رئيسة افتتح بها المؤتمر، وفي ختام أعمال المؤتمر تم الإعلان عن إصدار معجم التقنية واللسانيات بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، حيث يعد الأول من نوعه؛ فقد جمع أكثر من 4 آلاف جذر لغوي في اللسانيات والتقنية بكل حقولهما المعرفية، إلى جانب الإعلان عن صدور كتاب المعالجة الآلية للغات والإنسانيات، ويعرض الكتاب نظرية هي الأولى من نوعها في حوسبة اللغة العربية بكل خصائصها ومميزاتها تمهيدًا لإصدار الكثير من البرامج التطبيقية الوظيفية مثل: الإعراب الآلي والتشكيل وضبط النصوص، هذا بالإضافة إلى إصدار قاعدة بيانات اللسانيات الحاسوبية خدمة للباحثين في فهم المصطلحات في حقلي اللسانيات والحاسوب،والقاعدة هي الأولى من نوعها في مساعدة الباحثين في الإحاطة بالفروق

البينية بين اللسانيات والحاسوب وصولا للكثير من البرامج والنظريات التي تخدم حوسبة اللغة أو اكتسابها.

هذا، وقد استعرض المؤتمر خلال يومين أحدث الدراسات والبحوث الأكاديمية والتطبيقية المتعلقة بالبرمجيات والتقنيات الحديثة في تدريس اللغة العربية، واستشراف آفاق البحث والتطبيق في مجال اللسانيات التطبيقية والدعم مستقبلا، إضافة إلى طرح الأفكار والرؤى حول تطوير تعليم اللغة العربية لخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته، وتحديد معالم التحديات المتعلقة بالإيجابيات والسلبيات في توظيف التقنية في تعليم اللغة العربية، والتواصل بين المختصين والباحثين في حقول المعالجة الحاسوبية للغة العربية على نطاق العالم بصفة عامة والعربي بصفة خاصة.

الديانات الإبراهيمية في العصور الكلاسيكية المتأخرة
The Making of the Abrahamic Religions in Late Antiquity

Guy G. Stroumsa

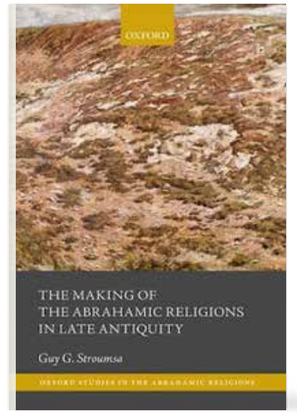

قراءة استيرلنج جينسن
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الانسانية

أحد أهداف العلم تحدي تفكيرنا حول ما نعتقد أننا نعرفه، وذلك يتطلب أن تستند المعرفة إلى أدلة واقعية، بدلاً من التكهنات أو التقاليد، إن استخدام الأساليب العلمية لفهم الأحداث الدينية في التاريخ، يمكن أن يتحدى افتراضات المؤمن حول ما هو حقيقة وما هو أقل من حقيقة. علاوة على ذلك، يعلمنا علم النفس المعرفي أنّ دماغنا مشروط بطريقة ترفض بشكل طبيعي المعلومات، وحتى الحقائق التي تتحدى معتقداتنا الراسخة تحدث حالة نفسية شائعة تسمى التنافر المعرفي عندما يصعب على عقولنا التمسك بمعتقدين متناقضين، أو عندما لا تتماشى أفعالنا مع معتقداتنا، مثل شخص يدخن السجائر عندما يعلم علميًا أنّ ذلك ضار بصحته. بسبب هذه الحالة، من الشائع أن يحاول الناس تبرير سلوكياتهم أو الاعتقاد فقط بالمعلومات التي تؤكد معتقداتهم، على الرغم من أنها قد لا تكون دقيقة أو صحيحة. يمكن أن يسهم هذا الشرط في خلق سوء تفاهم بين الجماعات الدينية؛ لأنهم يريدون تصديق نسختهم من الأحداث الدينية. كان هذا هو الحال بالنسبة للكثير من التاريخ الديني للأديان الإبراهيمية، حيث تدعي ثلاث ديانات رئيسة في العالم، اليهودية، والمسيحية، والإسلام، تراثًا مشتركًا في إعجابهم وإيمانهم بالنبي إبراهيم، لكنهم غالبًا ما يستخلصون استنتاجات مختلفة حول الأصول والمعنى من هذا التراث.

يستخدم كتاب "تكوين الديانات الإبراهيمية في العصور الكلاسيكية المتأخرة" من الأول إلى السابع للميلاد، مناهج بحثية علمية لتتبع التطور التاريخي لمفهوم الأديان الإبراهيمية؛ فيقدم المؤلف، (غي ستروما)، الأستاذ المتقاعد في جامعة أكسفورد والجامعة العبرية في القدس، حجة في الكتاب بأن جذور الديانات الإبراهيمية قد تبلورت بين وقت ظهور شخصية المسيح في المسيحية، والنبي عيسى في الإسلام، وزمن النبي محمد. يقول الكاتب إنّ من المطلوب إنتاج منهج متعدد التخصصات لفهم هذا التاريخ المهم في الضوء العلمي المناسب. من الجدير بالذكر أنّ البروفيسور ستروما كان باحثًا متفانيًا ومشهورًا في الديانات الإبراهيمية على مدار الثلاثين عامًا الماضية، و في عام 2009م صار أول من شغل منصب الكرسي الجديد لدراسة الأديان الإبراهيمية في جامعة أكسفورد، و كتابنا هذا مجموعة من عشرة فصول كتبها ستروما على مدى السنوات العشر الماضية، تتعلق بالتطورات الدينية ما بين القرنين الأول والسابع بعد الميلاد.

إنّ هناك الكثير من الأفكار القيمة التي يقدمها الكتاب، التي قد تتحدى الفهم التقليدي للأديان الإبراهيمية، ليس فقط بالنسبة للمؤمنين من اليهود والمسيحيين والمسلمين، لكنها تسمح أيضًا لهؤلاء المؤمنين برؤية مدى ما يجمعهم من قواسم و جذور مشتركة. إحدى الأفكار المركزية لهذا الكتاب أن الكثير مما يُفهم عن تاريخ الأديان الإبراهيمية قد تم تقديمه من خلال تخصصات علمية مثل: التاريخ المسيحي المبكر، أو التاريخ اليهودي زمن الهيكل الثاني، أو التاريخ الإسلامي المبكر، أو علم الأنثروبولوجيا، أو التاريخ الروماني الكلاسيكي، أو التاريخ الساساني الكلاسيكي، أو اللاهوت المسيحي، أو اليهودي، أو الإسلامي، إلخ. ويجادل ستروما بأنّ دراسة تاريخ الأديان الإبراهيمية في هذه الصوامع لم تقدم صورة دقيقة للسياق التاريخي الذي ظهر فيه الإسلام كدين إبراهيمي، والسياق الاجتماعي، والديني واللاهوتي، والعوامل السياسية واللغوية بين المجتمعات الدينية التي أثرت في معتقدات وسلوكيات بعضها البعض. على سبيل المثال، افترض الكثير من المؤرخين في التاريخ المسيحي، أن الطقوس والمعتقدات اليهودية ظلت ثابتة إلى حد ما من وقت يسوع، أو المسيح، حتى وقت النبي محمد، ويشير ستروما إلى أن هذا سوء فهم جسيم، وأنّ التاريخ المسيحي المبكر يجب أن يأخذ في الاعتبار عوامل من التطورات الإثنوغرافية، والمعرفية، واللغوية العبرية، واليونانية، والفارسية، والعربية، خلال تلك القرون. يقول إنّ الأبحاث من التاريخ اليهودي واليوناني تظهر كيف تحولت اليهودية بعد تدمير الهيكل الثاني عام 70 م وأدت إلى إنهاء التضحية بالدم، والتي غيرت بشكل جذري المفهوم اليهودي للدين. فكانت التضحية بالدم في الهيكل في القدس والطقوس المتعلقة بها جوهر الدين لليهود، ومع ذلك، فإنّ نهاية التضحية بالدم والانتقال إلى اليهودية الحاخامية خلقت حالة تغير فيها فهم اليهود للدين من الطقوس إلى الفهم المعرفي. نتيجة لذلك، أصبح اليهود أكثر اهتماماً بنهاية الزمان ومجيء المسيح. جاء هذا التحول في اليهودية في نفس الوقت الذي حدثت فيه التحولات في المسيحية حيث بدأت تتفرع من اليهودية وتستقل عنها تدريجياً وتطور لاهوتها وتأويلها. فشكلت العلاقات بين اليهود والمسيحيين والمفاهيم المتبادلة لبعضهم البعض معتقداتهم، ونتيجة لذلك، تأثر المشهد المعرفي في فلسطين، وإلى حد ما في شبه الجزيرة العربية في هذا الوقت. يوفر فهم هذا التفاعل بين المجموعات الدينية المختلفة والأحداث الجيوسياسية سياقًا مهمًا حول التصورات اليهودية والمسيحية عن النبي محمد، والدخول العربي للقدس. وعندما احتل الساسانيون القدس عام 614، عاش المسيحيون حالة تنافر حيث تناقضت الأحداث مع فهمهم للواقع، واعتقدوا أنها علامة على نهاية الزمان. جعلهم تفسيرهم للكتاب المقدس يتوقعون مجيء الشخصيات المعادية للمسيح قبل عودة المسيح. في هذه الأثناء، جعل هذا الحدث اليهود يتوقعون مجيء نبي مسياني: لينقذهم ويسمح لهم بإعادة بناء هيكلهم. لذلك، يجادل ستروما في أنه عندما دخل الخليفة عمر وقواته العربية القدس 636م، فسر الكثير من اليهود في هذه الفترة دور النبي محمد وظهور الإسلام على أنه حدث مسياني ونبوي، وهكذا أكد دخول قوات أجنبية إلى القدس عام 614 ثم عام 636 مخاوف مسيحية كثيرة بينما أكد في نفس الوقت الكثير من الآمال اليهودية، وهذا لأنّ كل مجموعة تمسكت بفهم دياناتها المسبقة عن نهاية الأزمنة، وفسرت الأحداث بشكل مختلف تمامًا، بينما ادعى الجميع أنهم يعبدون إله إبراهيم المشترك. تتمثل مساهمة ستروما في الفهم العلمي للديانات الإبراهيمية في أنه فقط من خلال اتباع نهج متعدد التخصصات للموضوع، يمكننا فهم المشهد المعرفي، والفكري، والسياسي، والثقافي، الذي سمح بظهور وتطور ثلاث ديانات إبراهيمية متمايزة بعد القرن السابع الميلادي.

وهناك نظرة ثانية يقدمها ستروما من بحثه حول الأديان الإبراهيمية، وهي تجميع العناصر المشتركة لعلم الفلسفة اليونانية، والعلوم الاجتماعية لماكس فيبر، وهارفي، وايتهاوس، والأديان الفارسية مثل: الزرادشتية، والمانوية، لفهم الدور المركزي للنبوة في الحركة الإبراهيمية. وفقًا لستروما، فإنّ استمرار النبوة التوراتي يشبه خيطًا من يسوع عبر ماني إلى محمد، وهذا الخيط المركزي لفهم الديانات الإبراهيمية لا يقدره أو يفهمه التيار الفكري السائد في دراسات الديانات الإبراهيمية. وباستخدام نظرية فيبر لتطور العقلانية في الحضارة الغربية ومراحل الحركات الدينية، يجادل ستروما بأنّ التيار التوحيدي كان لديه بيئة خصبة للنمو في العصور الكلاسيكية المتأخرة: بسبب القيود الصارمة على عدد الكائنات الإلهية؛ نتيجة هيمنة السياسة المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية، وإنّ الحماس الديني الذي شعرت به الشيع المسيحية المختلفة في هذه الفترة، أدّى التلقيح المتبادل بين القادة الكاريزماتيين اليهود، والمسيحيين، والمانويين، إلى بنى ثقافية جديدة في الشرق الأوسط. كانت هذه الهياكل الاجتماعية الجديدة، مثل السلطة الكنسية للأساقفة المسيحيين، ودور الرسل والأنبياء في المانوية، والتمييز المتزايد بين المجتمعات الدينية اليهودية والمسيحية، نتيجة التوترات الإبداعية بين الطبيعة الديناميكية للقائد الكاريزمي والطبيعة الثابتة لتقاليد كنسيّة رهبانيّة. ويستخدم ستروما نظرية فيبر للحركات الدينية لموازنة التوترات بين كاريزما النبي وروتين الكاهن؛ أحدهما يدفع باتجاه التغيير، والآخر يدفع باتجاه الاستقرار. يوفر فهم هذه الاستقطابات وأنماط التدين أدوات لطالب وباحث الأديان الإبراهيمية لمتابعة التحولات الدينية التي حدثت بين عهد يسوع وزمن النبي محمد.

ويقدم الكتاب أيضًا نظرة ثاقبة حول الدور الحاسم للمجتمعات اليهودية – المسيحية الأصلية، وتطوير الهويات الدينية بدلاً من الهويات العرقية، التطور الفكري للكفر للزنادقة أو غير المؤمنين المتسامحين، وأهمية جبل الهيكل في القدس الذي لعبه في خلق هويات دينية إبراهيمية متمايزة. يقوم المؤلف بذلك بطريقة توازن بين الأدلة، ويوضح بدقة ما هو الدليل المفقود، وما هي التكهنات في التاريخ. يمنح هذا النهج الموضوعي الكتاب نغمة علمية لا تقدّم قصة دين على الآخر، بل تشجع القارئ على تبني التواضع والتفكير النقدي لفهم

جـذور هــذه الظــاهرة الدينــية العظيمة.

إن مـا يحققـه هـذا الكتـاب للقـارئ المثقـف والناقد، تقديم حجة مقنعة مفادها أن الأديـان الإبراهيمـية تشـترك فـي الكثيـر مـن القواسـم المشـتركة ،أكثـر مما قد يشـتبهون وأن النهـج متعـدد التخصصـات لدراسة الأديان الإبراهيمية يظهر أن تدفـق الأفـكار الدينيـة بيـن المجتمعـات أثـر كثيـرًا بحيـث أثـرى بعضها بعضًا.

يقتـرح الكتـاب علـى طـلاب الديانات الإبراهيميـة وباحثيهـا أن لا يدرسـوا دينًـا معينًا علـى وجه الحصر، بل إنّ الأديـان الإبراهيميـة يجب دراسـتها جنبًـا إلـى جنب مع بعضهـا البعض، مسـتندًا فـي ذلك إلـى أننا فـي عالم تنتشـر فيـه الأفـكار الدينيـة بحريـة وتتغيـر باسـتمرار، علاوة علـى ذلك، يتطلـب البحث جهـدًا فكريًـا لتحديد القواسم المشتركة للظواهر الدينية المختلفة. وتسمح لنا هذه القواسم المشتركة بتتبع الاتجاهات المركزية الكامنـة وراء تعقيـد الواقـع المرئي. هـذا هـو السـبب فـي أن تضميـن المنهـج العلمـي فـي الدراسـات الدينية يسـاعد الطـلاب من كل دين ليس فقط على التمييز بين الحقيقة والأسـطورة، بل يكتشفون أيضًا أنه قد يكون لديهم الكثير من القواسـم المشـتركة مـع أقرانهم من البشـر ممـا لـم يكونـوا يتخيلونه مـن قبل. والمزيـد مـن التفاهـم المتبـادل هو بالتأكيد شـيء جيد للمجتمع في هذا العصـر والقادم مـن الأزمنة. فليس القصـد مـن البحـث المقـارن توحيد الأديـان وهـو هـدفٌ مسـتحيل؛ بـل المقصـود تسـهيل العيـش المشترك ما دامت القيم الكبرى في الأديان ذات مناحي متقاربة.

إضافة إلى قنوات التواصل الاجتماعي وأرقام الجامعة الرسمية، يمكنكم التواصل معنا عبر "الخوارزمي": المجيب الذكي لجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

In addition to its social media channels and official university telephone numbers, you can contact us through the official smart app of the Mohamed Bin Zayed University for Humanities: "Al-Khwarizmi"

أطلس البابا فرنسس
حاضرة الفاتيكان والسياسَة الدولية

L'atlante di Francesco:
Vaticano e politica Internazionale

Antonio Spadaro

قراءة عزالدين عناية
أستاذ بجامعة روما
لاسابيينسا، إيطاليا

تضطلـع دولة حاضرة الفاتيكان بدور مقدَّر في السياسة الدولية، من خلال منظور مميَّز لمفهوم الدبلوماسـية وتفعيل خاص للعمل الدبلوماسي. وقد تبلور هذا الحضور بشكل حديث فـي أعقاب الحـرب العالميـة الثانية، على إثر مشـاركة الفاتيكان كناشـط مستقلّ في لعبة السياسة الدولية، يتّخـذ مسـافة مـن سـائر الأطراف، وكسـلطة أخلاقية تأبى الانخراط في سياسـة المحـاور. والمتابـع لهـذا الـدور الفاتيكاني يلحظ اسـتناده إلى مرجعية تأسيسية، تجد دعائمها في طروحـات "اللاهوت السياسـي" التي تؤكد علـى اضطـلاع الفاتيـكان بدور خُلقـي، يراعي عـدم التدخل المباشـر في المجال السياسي. بدا ملمح هذا الـدور مطلّا بوضـوح في السياسـة الدوليـة منـذ فتـرة البابـا بولـس السـادس (تراوحت فترة بابويته بين 1963 و 1978) حيـن ألقـى خطابه في الأمـم المتحـدة سـنة 1965. وشـدّد علـى أن دور الكنيسـة، فـي ظـلّ التجاذبات الدولية والنزاعات القائمة، هـو فـي وضـع إمكانياتهـا وقدراتها وتجربتها الثرية كـ "خبيرة في الشـأن الإنسـاني" لخدمة الإنسان، وهو دورٌ مهـمّ، شـكّلَ هويـة الدبلوماسـية الفاتيكانية بكونها دبلوماسـية راعية للسياسة لا مشاركة مباشرة فيها.

أنطونيو سـبادارو الذي نعرض كتابه "أطلـس البابـا فرنسِـس.. حاضـرة الفاتيـكان والسياسـة الدوليـة"، هو رجل دين يسـوعي، من مواليد جنوب إيطاليـا 1966. يعكـف فـي الوقـت الحالـي علـى تحرير مجلة "لاشـيفيلتا كاتوليـكا" (الحضـارة الكاثوليكيـة) العريقـة، التـي تحافـظ علـى وتيـرة صدورهـا منـذ 173 سـنة، وتُعـدّ المرصـد المواكـب لتحـولات الفكـر الكاثوليكي.

وزّع سـبادارو كتابـه الحالـي إلـى قسـمين رئيسين: انشـغل القسم الأول بالأسس التي تقوم عليها رؤية البابـا فرنسِـس للعالـم، بوصفـه القيـادة الروحيـة والممثـل الأعلـى لدولـة ذات خصوصيـة دينيـة، وانشغل كذلك بمعاني إسهام رجل الدين المسيحي في الشأن العالمي. حيـث يعالـج سـبادارو، ضمـن هـذا القسـم، قضايـا الفعـل الزمنـي، ومسـعى رجل الدين لتغييـر التاريخ، ومدلولات مفهوم السلم في منظور البابـا، ليختـم الكاتـب هـذا المبحـث بالتطـرّق إلـى معاني الأخـوة والديمقراطيـة فـي مدلوليهمـا الشامل عند فرنسس. في حين تَركّز الانشـغال فـي القسـم الثانـي على الخرائـط السياسـية التـي تحـرّكَ ضمنهـا فرنسِـس، وسـعى مـن خلالهـا إلى متابعة القضايـا الدولية، طيلـة السـنوات العشـر مـن فتـرة بابويتـه. ومـن ضمنهـا تعامـل فرنسِـس مع قضايـا أوروبا الراهنة، مـن عَلمنـة وأنْجلـة وتطـور موجات العدميـة والشـعبوية والفوبيـا، وتعاملـه مـع الحـرب الدائـرة بيـن روسـيا وأوكرانيـا. فقـد عـزّز تفجـر الحـرب في أوروبا لدى فرنسِـس من قناعتـه بخـواء الفعـل السياسـي الغربي من القيم المسـيحية، وفاقم اليقيـن لديـه بضـرورة إدخـال تحوير علـى معنـى الفعـل السياسـي على نطاق واسع.

وينشـغل جانـب أخيـر مـن الكتـاب باسـتراتيجية فرنسِـس الجديدة مع الصيـن، والتحـول من الانتقـاد الحاد إلـى التعايـش. وضمـن خرائـط فرنسِـس، يسـتحضر الكاتـب انشـغال البابـا بأمريـكا اللاتينية، ولا سـيما بتحديات الموروث الأهلي في القـارة على غرار منطقة الأمازون، ثم يعـرج الكاتب في جانب مهمّ من هذا القسم على معاني الإسلام والأخوة، وهو انشـغال بارز لدى البابا، أتى فيه سـبادارو علـى الخيـارات المحوريـة لفرنسِـس مع العالم الإسلامي منذ توقيـع "وثيقة الأخوة الإنسـانية" في أبوظبـي (فبرايـر 2019)، التـي مثّلـت حجـر أسـاس فـي بنـاء سياسـة فاتيكانيـة جديـدة مـع العالـم الإسـلامي، تقطع مع تـراث الصدام وتعمـل على تنقية الأجواء وترسـيخ نهـج مغاير فـي بنـاء السـلام يقوم على المصارحة والشـفافية. إذ أدرك البابـا محوريـة العالم الإسـلامي في مسـعى بنـاء علاقـات وثيقـة بيـن الأديـان. وعلـى هـذا الأسـاس، جـاء

التحول الإيجابي الجلي في لغة فرنسيس في الرسائل البابوية وفي مداخلاته، بشأن الإسلام والمسلمين، بما لا يضاهيه أي بابا آخر عبر تاريخ الكنيسة.

وضمن التأسيس لمنظور بابوي في السياسة الدولية، في القسم الأول، يبرز سبادارو أن الأمر لا يأتي من فراغ، وأنّ الحديث عن سياسة الكنيسة الدولية هو حديث عن حضور فعلي ونشاط مباشر، لأن 183 تمثيلا دبلوماسيا يربط حاضرة الفاتيكان بدول العالم، وأن مليارا و 378 مليوناً، أي نسبة تبلغ 17.67 من مجموع سكان المعمورة، يرعاهم جيش من رجال الدين الكاثوليك المكرَّسين تبلغ أعدادهم 462.388 عنصرا، يتطلع جميعهم نحو روما، وذلك بحسب الأعداد الواردة في التقرير الإحصائي (Annuarium statisticum ecclesiae) الصادر عن مكتبة الفاتيكان (2022). كل هذه العناصر تخوّل للكنيسة الكاثوليكية الاضطلاع بدور مؤثر في السياسة الدولية. وتأكيداً لهذا الحضور المتميز يكشف البابا، من حين إلى آخر، عن تصوره للكنيسة في عالم متغير. ففي زيارة أخيرة إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية (آخر يناير/ مطلع فبراير 2023) شدّد البابا فرنسيس على هذا الدور، مذكراً بأن حضور الفاتيكان في السياسة الدولية عماده دبلوماسية الإنسان للإنسان، ودبلوماسية الشعوب نحو الشعوب، فليس هناك مسعى للسيطرة على مجالات حيوية، ولا طمع في مصادر الثروات، وبالمثل ليس هناك تطلع للتوسع وتنمية المغانم، ولكن هناك فرصاً لتنمية البشر.

فالانشغال بالسياسة الدولية لدى البابا فرنسيس، يعني السير ضمن خيارات إنسانية، تقدّر حجم المخاطر المحدقة بالعالم، وفي الآن نفسه تؤمن بدور الرعاية الإلهية. يقول فرنسيس "الرب يتجلى في الزمن، وهو حاضر في سياقات التاريخ. ويقف في صف الأفعال التي تولّد ديناميكيات جديدة. وهو أمر يتطلب صبراً ورجاء"، جاء ذلك التوصيف في أول حوار للبابا مع مجلة "لاشيفيلتا كاتوليكا" سنة اعتلائه سدة بطرس (2013).

إذ يبدو الساسة الكبار في الساحة الدولية، من منظور فرنسيس، وكأنهم لم يتعلّموا شيئاً من مآسي القرن العشرين، ولم يدركوا بعد مغزى التاريخ. إذ يلوح أمام ناظريه تراجعٌ في التضامن في السياسة الدولية: ازدياد حدّة الصراعات، تنامي النزعات القومية، انحراف العولمة باتجاه تكريس المصالح المادية والربحية دون تطور بارز لنهج التآخي. ففي عالمنا ثمة ما يناهز المليارين من السكان يعيشون في ظلّ الصراعات، في وقت يجابه فيه الجميع مخاطر بيئية ومناخية داهمة، وحركات هجرة قسرية، وشحّ في المواد الغذائية والتزود بالمياه. أضحت مختلف التحديات التي يجابهها عالمنا ذات بعد كوني، وهو ما جعل البابا فرنسيس يتركز جوهر انشغاله حول كيفية تخطي وضع اللايقين واللااستقرار هذا، وكيف نبدأ ومن أين نبدأ؟

والواقع أن هذا الانشغال الموسّع مع فرنسيس يتلاءم مع خاصيات الكنيسة المركّبة. فلو تمعنّا المؤسسة التي يتسنّمها البابا نقف على تشعّب في أدوارها وقوّة في حضورها. في كتاب "جيوسياسة الكنيسة الكاثوليكية" (روما- باري، 2006) يَعتبر فابريسيو ماستروفيني، الخبير في الشأن الفاتيكاني، أن توصيف حاضرة الفاتيكان من خارج هي مجرد هيئة ذات امتدادات عالمية تسعى للتحاور مع ساسة العالم لكسب امتيازات، ونيل إعفاءات، وإصدار قوانين، تمكّنها من التحكم بضمائر المؤمنين، وهي من منظور داخلي واقع رسالي يتأسّس على الإيمان يهدف إلى فلاح المؤمنين وخلاصهم يوم الدينونة. لكن في خضمّ هذا التداخل في التوصيف، تبقى الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة نافذة، ولعلّها الأقوى على نطاق عالمي من حيث مقارنة إمكانياتها ونفوذها بالمؤسسات الدينية الأخرى لامتداداتها المتشعّبة. فالكنيسة وحدة مركّبة، تضمّ في داخلها أكثر من 120 حركة كَنَسية معترف بها، علاوة على جماعات دينية عديدة (226 للرجال و900 للنساء ذات نشاط واسع).

وفي ضوء ما يعتري الدبلوماسية العالمية من أزمات وتعكرات، وعجز المساعي التقليدية عن الحدّ من المشاحنات والنزاعات والصراعات، يذهب الكاتب سبادارو إلى تعزّز اليقين لدى البابا فرنسس، بأن الدبلوماسية الكنسية مسؤولة عن تطوير نظرة "نبوية" وأفكار تجديدية في السياسة الدولية، بهدف الخروج من رهن التفكير القومي في العمل الدبلوماسي إلى عمل ذي منزع كوني. وعلى أساس تلك القراءة صاغ البابا لغة خاصة في التعاطي مع السياسة الدولية، وباتت جملة من المفاهيم متواترة في رسائله وعظاته ومداخلاته بشأن معالجة قضايا العالم، على غرار مصطلحات الاهتداء الإيكولوجي، واقتصاد العزل، وتعولم اللامبالاة، ووثنية الدينار، والتطبيع مع البؤس، وهامش العالم، والحرب العالمية المجزّأة وغيرها من المصطلحات، وهي تمظهرات وعي وصياغات دلالية يصنع من خلالها فرنسيس نظرته إلى العالم. حاول الكاتب فرنشيسك تورالبا جردَ تلك المصطلحات، وتناولها بالشرح والتحليل في كتاب صادر بالإيطالية بعنوان "قاموس فرنسيس.. الكلمات المفاتيح في خطاب البابا" (روما، 2021).

ودائما ضمن رؤية البابا للعالم، يلحّ فرنسيس على ضرورة إدخال تحويرات في السياسة من خلال حثّه الملحّ على أَخْلقة العمل الدبلوماسي، وإضفاء طابع قيمي على العمل السياسي. فلا يمكن بقاء التواصل الدولي محكوماً بروابط مصلحية بحتة لا تراعي أي وازع خُلقي. بما يضع المنفعة والمصلحة اليوم في مواجهة واضحة مع القيم والأخلاق في السياسة الدولية. لكن فرنسيس، وكما يرصد سبادارو، وإن كان يتكلّم لغة غير مستساغة وربما غير مقدَّرة في العلاقات الدولية، فإنّ الواقع الدولي والمصير الجمعي يصدّقانه، إذ لا يمكن القول إن عالمنا على أحسن ما يرام في ظلّ قضايا عويصة متراكمة، وهو ما يجعل البابا يصرّ على نهجه. فما يلوح بيّنا لدى فرنسيس أن ثمة صراع تأويلات في فهم السياسة الدولية، ينبغي أن يخرج من التضاد إلى التفكير بحزم في حلول مشتركة لحفظ نظام العالم.

وفي حديث يورده الكاتب بشأن تميّز فرنسيس عن سلفه راتسينغر، يذهب سبادارو إلى أنّ رؤية راتسينغر قد تركزت حول القول بالتعددية في طروحاتها الغربية، مع ما لازمه من مخاوف من "دكتاتورية النسبية"، في حين مع فرنسيس تركزت الهواجس على مجابهة التحديات الكبرى التي يعيشها عالمنا من زوايا اجتماعية واقتصادية وأمنية، وهي ما يمثّل الهاجس الملازم له. فليس السلم هدفاً منفرداً في حدّ ذاته ينبغي إرساؤه -بحسب البابا-، بل هو مجرد خطوة أولى في طريق طويل متلخص في تحقيق التنمية، والحدّ من الحيف في السياسات الاقتصادية والاجتماعية السائدة بين الشعوب. ولا يبدو هذا من منظور فرنسس، مجرد آمال في تقليص الفجوات الاجتماعية، أو مجرد حدّ من الحيف، لأن ذلك عينه هو إرساء عدالة مشوهة ومهزوزة، وإنما كما أعرب عن ذلك في السعي الفعلي إلى تجاوز الأسباب البنيوية للفقر التي تولّد التهميش وتشيع العنف على مستوى الأوطان وعلى مستوى العالم. وعلى العموم يذهب سبادارو إلى أنّ تحولات لافتة شهدتها رؤية فرنسيس، كحبر أعظم للكنيسة وكخليفة لبطرس، فبعد أن جاء من جنوب العالم يحدوه حماس جارف لإدخال إصلاحات على سير الكنيسة في روما، بات الهاجس الأبرز في السنوات الأخيرة متمحوراً حول الانشغال بقضايا العالم الكبرى، وهو ما يؤكده فحوى الرسائل البابوية ومواضيع خطب القداس أيام الآحاد. انسحب فرنسيس في السنوات الأخيرة خطوة إلى الخلف وترك التكنوقراط الثقات في مهمّة إصلاح ما ينبغي إصلاحه، وانشغل بقضايا أخرى أضحت الشغل الشاغل لديه. بات تمتين عرى الصداقة بين الشعوب، والتحفيز على التقارب بين الحضارات، والتعاون بين الأديان هي المحاور الحاضرة لدى البابا في روزنامة أشغاله المحورية.

ورغم عفوية فرنسيس في تسمية الأشياء بمسمياتها، فهو لا ينزع في قراءته للسياسة الدولية منزعاً أبوكاليبسيا في فهم ما يجري، أي من خلال منظور "مانوي" للصراع. بالإضافة، وبخلاف نزعة التصارع السائدة في يقينيات جيوسياسات الاستقطاب، يقرّ فرنسيس أن جماعات المؤمنين ليست جماعات محاربين وأن ساحة الإيمان ليست ساحة للتناحر. فلا يغيب عن الكاتب رصد المسكونية القائمة بين الأصوليين الإنجيليين من جانب والمتشددين الكاثوليك من جانب آخر، لما تجمع بين الثنائي من رغبات وتطلعات في توظيف مباشر للدين داخل قنوات سياسية. وهو تقارب ينبني على أهداف مشتركة ومواقف متماثلة، مثل: الموقف من الإجهاض، والزواج المثلي، والتربية الدينية في المدارس، على صلة عموما بالأخلاق والقيم. كلتا الأصوليتين -الأصولية الإنجيلية والكاثوليكية المتشددة- ترفض المسكونية التقليدية وتنادي بمسكونية صراعية، ويوحّد بينهما الحنين إلى دولة ذات طابع ثيوقراطي. تتّخذ سياسة الفاتيكان مسافة واضحة من التيارات الكاثوليكية السائرة في هذا النهج، وتعبّر عن خيارات معتدلة. ويلوح جلياً أن المسكونية التي يدعو إليها فرنسيس ذات مرجعية مسيحية، وهي شاملة للمرجعيات الدينية الأخرى. تعمل على تدشين سلم عالمية، وتجهد نفسها في مدّ جسور اللقاء، بخلاف المسكونية الاستبعادية التي تنبني داخل أسوار منغلقة.

ضمن هذا القسم من الكتاب يتناول الكاتب أيضاً موضوع العلاقة بالصين، وأنّ من المشاكل العويصة التي أحرجت الفاتيكان في العقود الأخيرة العلاقة بالصين. غير أنّ علاقة البابا الحالي بالكنيسة في الصين اتخذت منحى آخر منذ تاريخ الثاني والعشرين من سبتمبر 2018، بتوقيع اتفاق بين جمهورية الصين الشعبية وحاضرة الفاتيكان، بما يرضي الطرفين، بعيداً عن التعنت الذي ميز الجانبين طيلة العقود السابقة بشأن تنصيب إكليروس الكنيسة في الصين. وإن لقي الاتفاق معارضة من أطراف غربية لا تود هذا التقارب كما يرصد سبادارو.

ودائماً ضمن القسم الثاني من الكتاب، يفرد الكاتب محوراً خاصاً لسياسة حاضرة الفاتيكان مع العالم الإسلامي بعنوان "الإسلام والأخوة". فبرغم مبادرات الحوار خلال العقود الفائتة إلا أن هذا الحوار تخلّلته هنات. بلغت ذروتها في القطيعة بين الأزهر الشريف والبابا راتسينغر على إثر تصريحاتِ الأخير الجامِحة في جامعة رغنسبورغ في شأن النبيّ محمّد ﷺ (12 سبتمبر 2006). مع فرنسيس حصل تغير جذري وهيكلي، ولاسيما منذ توقيع وثيقة أبوظبي التاريخية. نعرف أنّ التطور الإيجابي مع فرنسيس في السنوات الأخيرة، كان في إنتاج لغة ليتورجية منفتحة مع العالم الإسلامي، بما يتجاوز أحيانا مقرّرات مجمع الفاتيكان الثاني. كان اللقاء

بشيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب في أبوظبي (2019) وتوقيع الوثيقة حدثاً مهماً جداً. ولم يقف تقارب فرنسيس عند ذلك الحد، بل سار قدماً في تمتين العلاقة على أرض العراق من خلال لقاء المرجع السيستاني وزيارة مدينة أور، مهد النبي إبراهيم -عليه السلام- في مسعى لاحتضان الإرث القِيَمي المشترك بين الأديان الثلاثة.

وتحت عنوان لافت "تغيير معنى التاريخ" يذهب الكاتب إلى أن مفهوم "الرحمة" كما يراه فرنسيس هو جوهري في تحوير العلاقات الدولية. فالمفهوم حاضر بقوة في المسيحية وفي الأديان جميعاً، وهو حمّال لطاقة هائلة بوسعها إحداث تغيير إيجابي في "الزمن المأسوي" المخيم على التاريخ والحاضر. قد يبدو المفهوم خالياً من المعنى، في علاقات محكومة بالمصالح، في حين هو جوهر التاريخ لأن الرحمة وجه الله في التاريخ كما يرى فرنسيس، كما أنّ هذه القيمة الكبرى أساس في الاستمرار الإنساني.

دستور المدينة المنورة
من معالم جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

المغرب في المشرق:
المعرفة والرحلة والهوية

The Maghrib in the Mashriq
Knowledge, Travel and Identity
Maribel Fierro and Mayte Penelas

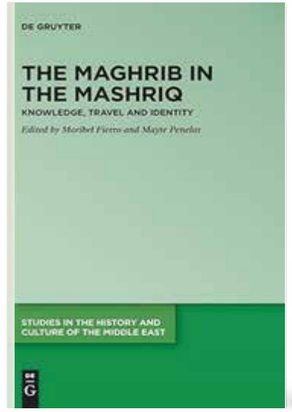

قراءة: سعد رييع
أستاذ جامعي

الدكتورة ماريبيل فييرو، أستاذة باحثة في الدراسات العربية والإسلامية، في المجلس القومي الإسباني للبحوث (CSIC)، ومعهد اللغات والثقافات في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ومركز العلوم الإنسانية والاجتماعية في مدريد إسبانيا[1].

عرضت المؤلفة في كتابها هذا جانبًا مهمًّا من بحوثها، حول علماء المسلمين في الأندلس ودورهم في تشكيل الثقافة الإسلامية العالمية، وقدمت لمحة عامة عن الأعمال الأندلسية التي تم تداولها خارج شبه جزيرة أيبيريا، وتناولت بالبحث أسباب اكتساب بعض تلك الأعمال شعبية واسعة خارج السياق المحلي الذي أنتجت فيه، ويأتي هذا البحث ضمن مشروع أوسع حول الأثر الثقافي للمغرب على المشرق.

تقول الدكتورة فييرو: "لفهم تأثير الإنتاج الأدبي الأندلسي على بقية العالم الإسلامي، يجب أن نبدأ بوضعه في سياقه من أجل الكشف عن الاحتياجات الدينية والاجتماعية والسياسية الكامنة وراءه".

عاش سكان الأندلس على أرض تقع في أحد أطراف العالم الإسلامي، وكانوا يرون أنفسهم منعزلين إلى حد ما، ضمن جزيرة محاطة بالبحر والمسيحيين، وقد بذل علماؤهم جهدهم للبقاء على اتصال بالمناطق المركزية للإسلام، من خلال السفر لأجل الدراسة (الرحلة في طلب العلم)، وجلبوا الكتب والأفكار المنتجة في أماكن أخرى، ومع ذلك، لم يكن سفر الدراسة أحادي الاتجاه، فمنذ وقت مبكر جدًّا ، قدَّم علماء الأندلس مساهمات مهمة في الثقافة الإسلامية "العالمية". فما أهم هذه المساهمات، وما أسباب نجاحها؟

لا تخلو مكتبة تحتوي على مخطوطات عربية من نسخ لبعض الأعمال التي كتبها علماء الأندلس، مثل: منظومة الشاطبي (ت: 790 هـ - 1388م) عن القراءات القرآنية ومنظومة ابن مالك الجياني (ت: 672 هـ - 1274 م) في النحو.

يمكن الآن التأكد من مدى رواج هذه الأعمال وغيرها، بفضل قاعدة البيانات Historia de los Autores y Transmisores Andalusíes

ولكن ما سبب رواج تلك الأعمال؟ وما تلك الأعمال التي تحظى اليوم بشعبية أكبر بين الإنتاج الثقافي الأندلسي؟

استنادًا إلى معاجم السير الذاتية العربية والببليوغرافية للعلماء، وكذلك مصادر أخرى، يمكننا تحديد أسماء ومسارات11831 باحثًا كانوا ناشطين في الأندلس، بين القرنين الثاني والتاسع الهجري (الثامن والخامس عشر ميلادي)، من بين هؤلاء العلماء 5007، منهم مَنْ كتب مؤلفات خاصة به، ومنهم مَنْ نقل أعمالًا كتبها آخرون، كما نعرف عناوين ومحتويات 13.730 عملًا مكتوبة، أو منقولة، في الأندلس خلال هذه الفترة.

في المجال الفكري، ربما اشتهرت الأندلس بدورها في النقل الثقافي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي الغربي، وهو موضوع مفضل للباحثين في إسبانيا، وأماكن أخرى ممن كتبوا عن الماضي الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا، فقد أظهر العلماء الغربيون اهتمامًا أقل بكثير بدراسة الإنتاج الفكري الأندلسي في حد ذاته، لا سيما فيما يتعلق بإسهامات الأندلس في العلوم الدينية الإسلامية.

الباحثون من البلدان الإسلامية هم الذين درسوا الأعمال الأندلسية في سياقها الخاص، أي سياق مجتمع إسلامي ما قبل الحداثة، وبعد كل شيء، فعلماء الأندلس لم ينتجوا أو ينقلوا معارفهم بناءً على التأثير الذي قد يكون له على العالم المسيحي أو الغربي. لقد كانت أنظارهم موجهة، أولًا وقبل كل شيء إلى أنفسهم، وثانيًا، إلى بقية العالم الإسلامي. هذا

1- عملت فييرو باحثة زائرة في مدرسة اللاهوت بجامعة شيكاغو، وكلية الدراسات المتقدمة في العلوم الاجتماعية في باريس، ومعهد الدراسات المتقدمة في برينستون، وفي عام 2020م تم انتخابها لعضوية الجمعية الفلسفية الأمريكية.

هو السبب في أن الدراسات التي أجراها باحثون ينتمون إلى نفس المجال الثقافي والديني، قد تناولت بالتفصيل علماء الأندلس الذين كتبوا في مجالات الفكر الإسلامي، مثل: تفسير القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والكثير من مجالات الشريعة الإسلامية.

إن أي شخص مطلع على الثقافة الإسلامية، سوف يتعرف عليهم على الفور، فمنهم: أبو الوليد الباجي وابن عطية وابن العريف، الشاطبي، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، في حين أن المؤلفين الأندلسيين الذين كانت أسماؤهم مألوفة لدى الأوروبيين المطلعين هم: ابن رشد، وابن حزم، وابن عربي الصوفي، هؤلاء كانوا بالطبع من أهم علماء الأندلس، ولو أن أحدهم سأل مسلمًا متعلمًا في غرناطة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، من أهم علماء الأندلس؟ ربما لن يذكروا أيًا من الأسماء المألوفة للأوروبيين اليوم. على هذا النحو، إذا كنا نرغب في الخروج من رؤية مركزية أوروبية للأندلس، فسيتعين علينا بذل جهد للتعامل معها وفق شروطها الخاصة. وتستخدم الباحثة مصطلح "أكثر الكتب مبيعًا" بمعنى واسع جدًا، لاستحضار الشعبية التي تتمتع بها بعض الأعمال المنتجة في الأندلس، وفي بعض الحالات، لا تزال تتمتع بها اليوم، وبالطبع هي لا تقصد آليات وديناميكيات، ودوائر الإنتاج، والمبيعات، والتداول، والاستهلاك، كما هو المقصود بهذا المصطلح "أكثر الكتب مبيعًا" في العصر الحديث.

وكمنهجية لقياس مدى رواج الأعمال وانتشارها، تركز الباحثة على الأعمال التي تم حفظ عدد كبير من المخطوطات لها، ولتحديد هذه الأعمال، استخدمت البيانات التي تم جمعها في HATA (Historia de los Autores y Transmisores Andalusíes)، وهو مرجع زمني للأعمال المكتوبة في الأندلس، بين القرنين الثاني والتاسع (الثامن والخامس عشر ميلادي)، ويتضمن هذا المرجع مصادر السيرة الذاتية للمؤلفين، بالإضافة إلى مراجع ببليوغرافية للأعمال التي كتبوها والأعمال التي نقلوها[2].

الأعمال العشرة الأكثر رواجًا، والمذكورة هنا هي تلك المحفوظة بأعداد أكبر من 40 مخطوطة.غالبية "الكتب الأكثر مبيعًا" في الأندلس كتبها مؤلفون، إما عاشوا، أو نشأوا في ظل إمبراطوريات البربر. وفيما يلي قائمة الأعمال العشرة مدرجة هنا بترتيب زمني حسب تاريخ وفاة المؤلف:

•(رتبة الحكيم)، لمسلمة بن أحمد بن قاسم المجريطي (295- 353 هـ/ 908-964 م). ولد في قرطبة وسافر إلى الشرق، ثم عاد إلى الأندلس حيث توفي. يوجد 65 مخطوطة محفوظة لكتابه في الكيمياء. كان تداوله في الماضي والحاضرهامشيًا، بقدر ما يبدو أنه لم يترك أي أثر سوى هذه المخطوطات تنسخ نفسها. تستمر بعض المكتبات اليوم في تقييد إمكانية الاطلاع على رتبة الحكيم، معتبرةً محتواها "خطيرًا" من منظور ديني.

•(سراج الملوك)، للطرطوشي (451-520 هـ/ 1059- 1126 م). هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي، نسبة إلى مدينة طرطوشة الأندلسية التي ولد فيها، وانتقل إلى المشرق عام (476 هـ/ 1083 م)، واستقر أخيرًا في الإسكندرية عام 1097/490، حيث أنهى أيامه دون العودة إلى الأندلس. قام بتأليف (سراج الملوك) وهو من نوع الكتب نوع الكتب التي تعرف باسم "مرايا الأمراء"[3] لوزير الخليفة الفاطمي. يسجل HATA حوالى 41 مخطوطة منه، ويشير إلى أنه تمت ترجمتها أيضًا إلى التركية والفارسية، ويغطي سراج الملوك في الواقع عددًا من الموضوعات غير الدينية تمامًا؛ نظرًا لهدفه المتمثل في تعليم "الأمير" القيم السياسية العالمية، أو فن السياسة والحكم، وما يجب أن يكون عليه الراعي والرعية.

•(الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، للقاضي عياض (ت 1149/544). أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي. ولد هذا الفقيه المالكي في سبتة، ويتناول عمله مآثر وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يسجل HATA ما يقرب من 200 مخطوطة من كتابه. وهناك ترجمات حديثة إلى الإنجليزية والفرنسية. عاش القاضي عياض في عهد المرابطين، وتولى عندهم منصب القاضي، وظل مخلصًا لهم حتى بعد فتح الموحدين لسبتة. يبدو أن كتابه الذي يشيد بمزايا وخصائص النبي محمد صلة الله عليه وسلم، كان من بين أهدافه، الجدال ضد أولئك الذين يعتقدون أن البشر يمكن مقارنتهم بالنبي، مثل الأولياء، و"الأتقياء"، أو المهديين. فقد نشأ الموحدون على وجه التحديد كأتباع لابن تومرت، الذي اعتبروه إمامًا مهديًا ومعصومًا. لم يوصف ابن تومرت بالمهدي فحسب، بل وصف أيضًا بأنه وريث "مقام النبوة والعصمة". وقد فرض الموحدون على سكان المنطقة التي يحكمونها أن يحفظوا عقيدة ابن تومرت، على اعتبار أنه الإسلام الحقيقي الذي أتى به المهدي، وأن الموحدين هم المؤمنون الحقيقيون، وأنهم أصحاب عقيدة التوحيد الإسلامية الصحيحة. وتم رفض

2- يمكن الوصول إلى قاعدة البيانات هذه عبر الإنترنت على http://kohepocu.cchs.csic.es/

3- نوع من الكتب كان شائعًا في العصور الوسطى في الشرق والغرب، وهي كتب تضم المثل المحكم والحكاية الواعظة والعبارة المنسقة مع مقتبسات من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجيد، وما إلى ذلك، وكان يقصد منها النصيحة ونشر قيم السلام والاستقرار.

الاختلاف في الرأي في أمور الدين؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك سوى حقيقة واحدة، يضمن المهدي معرفتها، وقد تعامل القاضي عياض مع تحدي الموحدين للمالكيين الفقهاء من خلال كتابه الشفاء.

•(منظومة حرز الأماني ووجه التهاني) أو (متن الشاطبية)، للإمام القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي الرعيني (538 / 1143-590 / 1194). ولد في شاطبة واستقر أخيرًا في القاهرة، حيث درس في المدرسة الفاضلية.

اشتهرت المنظومة بالشاطبية نسبة لناظمها، وبلغ عدد أبياتها 1173 بيتًا، نظم فيها الشاطبي القراءات السبع المتواترة عن الأئمة، نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي. وتعتبر الشاطبية من أوائل القصائد التي نظمت في علم القراءات إن لم تكن أولها على الإطلاق، وفضلًا على أنها حوت القراءات السبع المتواترة، فهي تعتبر من عيون الشعر؛ بما اشتملت عليه من عذوبة الألفاظ ورصانة الأسلوب. هذا العمل التعليمي المكرس لتدريس القراءات القرآنية، هو شرح لكتاب (التيسير في القراءات السبع)، لأبي عمرو الداني (371 / 981-444 / 1053).

•كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، لابن البيطار (1180/576 أو 583 / 1187-1248/646). ولد المؤلف في ملقة، وسافر إلى المشرق حوالى 1220/617، وعاش أولًا في القاهرة، في خدمة السلطان الأيوبي، ثم في دمشق فيما بعد. يوجد ما يقرب من 80 مخطوطة من هذا الكتاب.

•(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت 1273/671). محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، خرج من الأندلس بعد استيلاء المسيحيين على قرطبة عام 1236/633، واستقر في النهاية في صعيد مصر، حيث عاش حتى وفاته. وهناك كتب تفسيره للقرآن، العمل الذي أكسبه مكانة في الأجيال القادمة، ويمكن العثور على 50 مخطوطة منه في HATA. إن الطبيعة الموسوعية لتفسير القرطبي تجعله مرجعًا مفيدًا للغاية في عدد من المجالات، بما في ذلك الفقه. ولا تزال شهرته مستمرة حتى الوقت الحاضر.

•(الألفية) لابن مالك (ت 1274/672)، ولد في مدينة جيّان (بالاسبانية Jaén) عام 1203/600، واستقر في دمشق حيث عاش حتى وفاته. والألفية تتكون مما يقرب من 1000 بيت على بحر الرَّجَز، شرح المؤلف من خلالها القواعد وكل ما يتعلق بعلم النحو والصرف.

•(الآجرومية)، للكاتب ابن آجروم (672 / 1273-723 / 1323)، وهي رسالة في علم النحو، تشرح قواعد الإعراب. على الرغم من أن HATA لا تحتوي إلا على حوالي 30 مخطوطة، فقد أدى هذا العمل إلى ظهور ما يقرب من 60 حاشية وأعمال ذات صلة لمؤلفين لاحقين، مما يشهد على استخدامها التربوي على نطاق واسع. حتى أنها أدت إلى ظهور ثلاث ترجمات لاتينية.

•(كشف الأسرار عن علم حروف الغبار) للقلصادي (1412/815م-891/ 1486م). علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي، ولد في بسطة من أعمال جيان شمال شرقي غرناطة بالأندلس، وأدى فريضة الحج إلى مكة، ودرس في مصر وشمال إفريقيا. بعد ذلك استقر في غرناطة، وتوفي بباجة (تونس). وهو مؤلف لعدد من الأعمال في مجموعة واسعة من الموضوعات، بما في ذلك القواعد، والفقه، والحديث، وعلى وجه الخصوص علوم الحساب والجبر، التي ينتمي إليها كتابه "كشف الأسرار" الذي يسهل فهمه لاستخدامه في التعليم. تم حفظ حوالى 50 مخطوطة منه.

•(أرجوزة الولدان) أو (المقدمة القرطبية)، منسوبة إلى يحيى القرطبي. وهي رسالة في القواعد الأساسية للإسلام. يسجل HATA أكثر من 40 مخطوطة منه. هي قصيدة تشرح بإيجاز أركان الإسلام الخمسة: (الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم والحج). وهي تهدف إلى تعليم المبادئ الأساسية للإسلام على المذهب المالكي، يبدو أن هذا النوع قد ازدهر خاصة بعد منتصف القرن الخامس (الحادي عشر)، مع مؤلفي المذهب المالكي، مثل أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ-1081م) وابن رشد الجد (ت520 هـ - 1126م)، وأشهر هذه النصوص هو نص القاضي عياض، كتاب (الإعلام بحدود قواعد الإسلام)، الذي لا يزال يحظى بشعبية حتى اليوم. حتى أن هناك ترجمة إسبانية حديثة تهدف إلى تزويد المتحولين إلى الإسلام بدليل مبسط للواجبات الأساسية للمسلمين.

بدءًا من القرن الخامس (الحادي عشر ميلادي)، كانت هناك حاجة متزايدة في الأندلس لفهم أفضل لما يعنيه أن تكون مسلمًا، من حيث العقيدة والممارسة الدينية. أدت هذه الحاجة إلى إنتاج أعمال يمكن حفظها بسهولة، وجعل الالتزامات الأساسية الخمسة للمسلمين أكثر سهولة في الفهم. قد يكون هذا التطور مرتبطًا أيضًا بحقيقة أنه في القرن الخامس (الحادي عشر)، أصبح المسلمون يشكلون غالبية سكان الأندلس. يمكن الربط بين هذا التحول الديموغرافي، والتغيرات ذات الطبيعة الدينية والعقائدية. بالنسبة لأرجوزة الولدان فهي نص صعب، الهدف منه أن يتعلمه المعلمون. تُعرف القصيدة أيضًا باسم المنظومة القرطبية، أو المقدمة القرطبية، وقد أثبتت أرجوزة الولدان نجاحها الكبير عبر القرون، خاصة في الغرب الإسلامي. في الواقع، توجد المخطوطات في الغالب في مكتبات في المغرب، وكذلك في موريتانيا، ودول إفريقيا

جنوب الصحراء مثـل نيجيريا. علامة أخرى على شعبية أرجوزة الولدان هو عدد الحواشي عليها. وكما هو الحال بالنسبة لأرجوزة الولدان، فإن أعمال الشـاطبي، وابـن مالك، هـي قصائد تعليميـة، وتعكس أحد أبرز اتجاهات عصر الموحدين: الحماس للتعليم.

وكخلاصة للبحث نجد أن الأعمال الأندلسية الأكثر رواجًا وانتشارًا في العالم الإسلامي كانت إما نصوصًا أو قصائد تعليمية، تتناول القراءات القرآنية، وقواعد اللغة، والرياضيات، والعقائد الأساسية للإسلام. وثلاثة أعمال منها لها طابع موسوعي، تغطي حقوق وشمائل النبي صلى الله عليه وسلم، والعلاجات الطبية والنظام الغذائي، والقرآن الكريم. بعبارة أخرى، اثنان منها مرتبطان بأسس الإسلام - كتابه المقدس ورسوله الذي هو أيضًا خاتم الأنبياء، والتي تشكل جوهر الحياة الدينية للمسلمين. وتغطي ثلاثة أعمال العلوم غير الدينية (الكيمياء والطب والرياضيات)، بما في ذلك عمل واحد غريب هو(رتبة الحكيم) في العلوم السرية.

كن جزءا من الحدث

يسرنا أن ندعوكم للتعرف والمشاركة في الفعاليات المميزة التي تقدمها جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية على مدار السنة

للمزيد من المعلومات، زوروا موقعنا الإلكتروني **mbzuh.ac.ae**

الفعاليات متاحة لجميع أفراد المجتمع، بحسب الشروط والتفاصيل المحددة في الموقع.

#جامعة_محمد_بن_زايد_للعلوم_الإنسانية
#الريادة_في_العلوم_الإنسانية
#mbzuh

مقتطفات نورتون:
النظرية والنقد

The Norton Anthology:
Theory & Criticism
Vincent B. Leitch

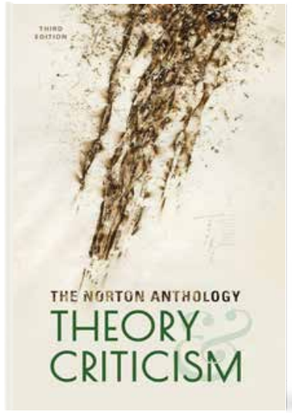

قراءة: نزار قبيلات
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يقـدّم هذا المجلد رؤى نقدية تتسـم بحداثـةٍ، خرجت علـى حداثة أوروبا في القرن المنصرم، فقـد اتّكأ العاملون في مؤسسـة "نورتون" في لمّ شمل النظريـة النقديـة الأمريكيـة، على ما أنتجـه أَعْـلامٌ بـارزون فـي المدرسـة الأمريكية، بشـقيها الأدبـي والنقدي؛ فالكتاب الضخـم هذا يقدم عددًا من الأوراق النقديـة قاربـت الثمانيـة والأربعين موضوعًا نقديًّا، تطرح رؤى ومضاميـن ما بعـد حداثوية، تتسـم بسمت النظرية الأمريكية التي ثارت على الحداثة الأوروبية، والكلاسـيكية الماركسية، فقدمت تنظيراً بينيًّا.

أسهم في تحرير هذا المجلّد الضخم كل مـن: بيتـر بـاري، والبرفيسـور مارشـاين سـيبيرات، وقد تم نشـره لأول مـرة فـي عـام 2001، أمـا البرفيسـور فينسـنت ليتـش، فهـو المحرر العام المسـؤول الذي يعمل أسـتاذ أبحـاث كرسـي "جـورج لين كروس" فـي جامعة أوكلاهوما، حيث شـغل أعمال هـذا الكرسـي لقاء ما قدمه مـن جهدٍ كبيرٍ فـي تأريخ النقد الأدبي المعاصر وتأطير نظريته، فهو - أي ليتش- من أعلام النّقد الأمريكي الذيـن تصدوا لطروحـات نقد ما بعد الحداثـة، تلـك التي أعـادت النظر في السياقات الإنسـانية، فبرع هو ومن شاركه في إعداد مقالات هذا الكتاب النفيـس، حيـن غاصـوا عميقًـا فـي البحـث حول أسـئلة تبدو كلاسـيكية تتعلق بماهية الأدب، وبعلاقة الأدب بالجمهـور دون تكرار واجتـرار للطرح الإغريقـي أيضًـا فـي مسـألة نظرية الأدب وماهيتـه والحاجـة إليـه. فمـا يميز المدرسـة الأمريكية أنها أقامت تصوراتهـا النقدية في مرحلة ما بعد البنيوية، واستلهمت منها ما أرادته، ولـم تتبـع المركزيـة الأوروبيـة. لقـد اجتهـد النقاد الأمريكيـون في تحليل الأدب وفـق تصـورات حديثة تجاوزت الصنميـة البنيويـة الفرنسـية، تلـك التـي أحالت النّص إلى مجـرّد معادلة رياضيـة صمـاء، فقد قدمـوا جهودًا حثيثةً للعودة بالأدب كمنتج إنسـاني إلـى سـياقاته الإنسـانية الخـارج - نصيـة، بلونهـا الماركسـي الواقعي؛ فبرزت وقتـذاك آراء مهمّة في النقد الثقافـي، والجندري، وفـي التفكيكية، وما بعدهـا، وفي النظرية النسـوية، وفـي كل النظريـات الاجتماعيـة الحديثـة المتعلقـة بـالأدب تبعًـا لحاضنتـه الاجتماعيـة؛ فوصلـت إلى أنسـاق أدبيـة كانـت مضمـرة ومهمشـة قبلًا، كأدب السود، وأدب السواحل.

لقد شـارك في هـذا الكتاب النفيس أسـاتذة يملكون إشعاعًا علميًّا بارزًا فـي حقـل النقـد الأمريكـي؛ منهـم أسـتاذ الأدب والنقـد الأمريكـي في كليـة "ويلسـلي"، وأسـتاذ العلـوم الإنسـانية المتميز "جـون ماكجوان"، وهـو ناقـد مهـم فـي جامعـة نورث كارولينـا. أمـا "جابيـل هيـل" فهـو متخصص فـي النظريات الاجتماعية المختصة بالأدب. ومن المساهمين الكبـار فـي هـذا العمـل الضخم، من اختـص بالكتابة وفق نظريـة العِرق، أمثال أسـتاذ اللغة الفرنسية "دينان شـاربلي"، وكذلك أسـتاذ الدراسـات الثقافيـة والروايـة "جيفـري ويليامز" المتعاقد مع جامعة كارنيجي ميلون.

مقـالات هـذا الكتـاب تمثـل نظـرة العصر للنقـد ونظريتـه، فقد احتوى علـى مـا ينوف علـى ثمانيـة وأربعين مقالًا جـادًا وصارمًا، تتعلق كما ذكرنا بمفاهيم النقـد الجديد بلا خوض في مسـألة المنهج المحـدد، فتنوع هذا الكتـاب وأهميته كمـا ذكرنا تنبع من كونه شـموليًّا يغـور بعمـق، متناولًا ممارسـات النقد لإشـكاليات الكتابة الأدبيـة فـي القرنيـن: العشـرين، والحـادي والعشـرين، فالكتـاب الضخـم هـذا، وبطبعتـه الثالثـة غدا أهم كتاب تناول النظرية النقدية حتى يومنا هذا.

قسّـمَ العاملـون في شـركة نورتون للنشـر الكتـاب أجـزاء: الجـزء الأول: خُصِّـص كمـا ذكرنا للنظر فـي بواكير المـدارس النقديـة الحديثـة والمعاصـرة وذلـك من خـلال النظر فـي طروحـات رولان بـارت فـي منتصـف القرن المنصرم ومرورًا بما قدمه أبرز نقاد ومثقفي حقبة الحداثة البنيوية وما بعدها، أمثال: "ميشـيل فوكو"، و"غرامشـي"، و"إدوار سعيد"، بالإضافـة إلـى أعمـال نقـاد آخريـن

بارزين في النظرية النسوية ونقدها، وثنائية الشكل والمضمون، فقد استجابت الدراسات النقدية الأمريكية للمعطى السياقي، فانعتقت من ربقة البنيوية الصمّاء لصالح نظرات خاصة في الدراسات الثقافية، وصلت بها حتى دراسة الأدب من خلال أنساق أدبية تخصّ الجندر وثنائيته، وكذا الأدب وفق عرق الإنسان ولون بشرته وجغرافيته، فظهر أدب العرق، وأدب الجندر، وأدب الأطفال، وسواهم... كما طُرحت نظرات جديدة حول مفهوم الماركسية نفسها، ففي الكتاب أبحاث جادة، ومحاضرات جامعية أُلقيت حول مفاهيم التاريخ، والتاريخانية الجديدة، ودراسات ما بعد الاستعمار، ودراسات الأدب الشعبي.

في الحقيقة أعاد النقد الأمريكي شيئاً من الهيبة للنقد السياقي الماركسي ما قبل البنيوية (التاريخي، الاجتماعي، النفسي) بيد أنه ربطه بأنساق متعددة وفردية، راعت حتى درجة استجابة القارئ وفق مفاهيم قديمة في المنهج النفسي، إذ من مصلحة المدرسة النقدية الأمريكية أولًا أن تقوم بهدم نظرة المركز الأوروبي للأطراف لتحدث تساويًا معولمًا، لا تقوده نظرية أو منهجية بعينها، وهو ما نجحت فيه والشواهد عديدة.

لم تقف جهود علماء النقد الأمريكي عند دراسة النظرية النصية للأدب وحسب، فقد زخر الجزء الثاني من الكتاب بمقالات رصينة حول الدراما، والرواية الحديثة، والشعر المعاصر، منطلقين من التصورات إياها التي وضعها أفلاطون وأرسطو وصولًا في الجزأين الثالث والرابع إلى أثر الدراسات الثقافية المتعلقة بالأدب، التي ترى أن الفنون والممارسات الشعبية على اختلافها اليومي والموسمي هي للجماهير، وليست للنخبة، لذا ينشط النقد الأمريكي في مساحات سوى النص المكتوب والملفوظ بل في كل الممارسات الثقافية التي تظهر في الخطابات التلفزيونية والسينمائية، وفي الإعلانات التجارية، كما تقرأ نظرية النقد الأمريكية حتى الفلسفة، التي تقف خلف ظهور مجموعات النشر وحلقات النقاش، أو ما عرف بالصالونات الأدبية التي يقف دورها عند حدود التذوق والتحليل، بل وفي تقديم تصور نقدي لأنساق مستحدثة منها الأدب الشعبي، وأدب الأقليات، وأدب اللاجئين، مع النزوع نحو تَقبل روايات الخيال العلمي والرّعب، والرومانسية الجديدة، وذلك بالاستناد إلى أدوات بحث وقياس ميدانية، وإحصائية رياضية قادرة على قياس المشاعر والمعتقدات والقيم، فتنقدها بشكل مجرد يختلف عن المدارس السياقية الوصفية السالفة، التي كانت تقرأ الأدب إما تحت وطأة الشرط التاريخي، أو الغريزة النفسانية، أو سلطة المجتمع.

وبناءً على ذلك، وتبعًا للحداثة في المفهوم النقدي الجديد وتبعًا لأدواته الحديثة أيضًا جرى في الكتاب تقديم تعريفات جديدة لـ "ما الأدب؟ وما الحاجة إليه؟" فقد تنوعت الأجناس الأدبية وتطورت بدءًا من القصيدة الشعرية، إلى الأساطير الشفوية، وكتابة اليوميات، والمجلات، وصناعة الأفلام، وتصميم الملصقات، وكتابة المسلسلات والروايات الرقمية...، فالثقافة ومع ثبات عناصر تكوينها، لكنها وتبعًا لهذا التصور قابلة للتجدد على الدوام، إن وجود التجمعات السكانية في بقعة ما سيتبدّل شكله ومضمونه على مرّ العصور، وسيتجدد إزاءه تعريف الخطاب الأدبي والتعاطي معه، كما سيفسر عاجلًا أم آجلاً بطرق مختلفة عن السابق، وسيضيف بطبيعة الحال قدرًا جماليًّا جديدًا، وسيحقق معه استجابات جديدة عند القراء.

تُبرز مقالات هذا الكتاب، وعلى نحو ما فكرةً مفادها، أن الدراسات الثقافية الجديدة تتمحور حول الذاتية (الشخصية)، وتقوم بدراساتها من خلال ثلاثة أشياء هي: عمليات اللاوعي عند الكاتب، وتأثيرات القوى الاجتماعية والتاريخية المحيطة، والمواقف المتعددة التي يشغلها كل فرد. فالناقد يركز على فكرة اللاوعي عند الأديب؛ لينطلق من محور الجمالية والشعرية المنبجس من نطاق واسع يضم علم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم النفس، وكل ما يحيق بالإنسان، وتبئير وجوده فنيًّا، فالكتابة هنا موقف والقراءة بناءً عليه استجابة.

كل هذا يعني أننا أمام نظرية نقدية مجزّأة وغير صلبة بالمقارنة مع النظرية النقدية الكلاسيكية، فقد صارت الحقول المعرفية في أوائل القرن الحادي والعشرين مجزّأة، ويمكنها أن تدرس التفاصيل الدقيقة، وتُنظّر لها بوصفها فعلًا إنسانيًّا لكن بمؤثرات مختلفة، فقد وضع المسؤولون عند وضع هذا المجلد خارطة للنظرية النقدية الحديثة ولمجالات اشتغالها؛ إذ أبانت الخارطة تلك (انظر ص:34-35) عن مجالات عمل النظرية في البلاغة الجديدة، وفي دراسات الإعلام، والتواصل الاجتماعي، والثقافة الشعبية بموسيقاها، وبالموضة الشعبية، وألعاب الرياضة، وكذا دراسات الجندر وما يتبعها من دراسات الذاكرة والهوية، والهولوكوست، والصدمة، وتحت هذه العناوين قدّم الأساتذة الأمريكيون رؤيتهم حول مدارس نقدية تناظر ما طُرح عند الأوروبيين والفرنسيين تحديداً، فقدموا تصوّرًا مختلفًا حول النقد المقارن ودرسوه وفق مقاربات العولمة، وليس كما أراد الفرنسيون الذين يُقدِمون على دراسة الأدب المقارن وفق مقاربات السّابق واللاحق.

إن موضوعات النظرية النقدية الأمريكية كثيرة؛ نظرًا لأنها تبحث في أنساق مضمرة تتعلق بعلوم السياسة، والأحياء، والجغرافيا، وحتى الغذاء، فهي باختصار تقدم نموذج دراسات نقدية يحل محل نموذج سابق تعامل مع الأدب، وفق الكليات وليس الحيثيات الصغرى؛ فما أن بدأت الدراسات الثقافية في التسعينيات من القرن الماضي تحل محل البنيوية وما بعدها، حتى بدأ الحديث عن عصر ما بعد النظرية، وحركة ما وراء النظرية، كل ذلك تم بعد انحسار البنيوية، ورديفاتها في التفكيكية، والسيميائية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن فهم النظرية هذا واجه حملة انتقاد شديدة نتيجة تحمّس بعض النّقاد لمفهوم أوسع، ألا وهو "موت النظرية"، فقد وُصِف هؤلاء بأنهم نقاد يطالبوننا بالعودة للوراء، والبحث من جديد في نظرية الأدب ونقده، فطرحهم هذا سيتسبب في إعاقة عمل المؤسسات الأكاديمية التي لا تستطيع أن تعمل بلا نظرية ناظمة هادية.

إن جمع علوم اللغة والبلاغة الحديثتين في كتاب واحد، يعني تسهيل مهمة الطلبة والباحثين في التمكن والاطلاع على أحدث المفادات المقدمة في النظرية النقدية اليوم، فمع تباين عناوين المقالات ونتائجها تحقق للمطلعين على الكتاب فهمًا واضحًا مكرسًا حول كل دراسات النقد الحديثة ورواده، فالدرس الحديث عرف طرق تناول معالجاته النصية شديدة التباين، وهنا يستشهد محرر الكتاب بقول أفلاطون إنّ الحياة غير المستكشفة لا تستحق العيش، إنها فعلًا حكمةٌ جديرةٌ بالاهتمام.

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية من أولى الجامعات في الدولة التي بادرت لتفعيل منظومة التعلم الهجين تماشيا مع متطلبات التعليم المستقبلية.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities was one of the first universities in the country to activate the hybrid learning system in keeping with the latest trends in the education sector.

ندوة تعريفية حول إطلاق
المجلّات العلمية المحكمة

07 يونيو 2023

نظمت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية ندوة تعريفية أعلنت من خلالها عن إطلاقها ثلاث مجلات علمية محّكمة؛ بهدف رصد التطورات البحثية في مجال الدراسات الفلسفية والإسلامية واللغويات التطبيقية، وذلك ضمن جهودها في تعزيز حضور اللغة العربية في الإنتاج المعرفي، بالإضافة إلى إجراء البحوث والدراسات العلمية الرصينة والمحاكية لواقع للمجتمعات وقضاياها المعاصرة، وطرح الحلول العلمية النافعة.

حيث ستنشر المجلات البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، لتصل إلى جمهور أوسع وأكثر تنوعاً من القراء محلياً وعالمياً.

ولكل مجلة مواضيعها واختصاصها، فتختص مجلة الدراسات الفلسفية بالبحث الفلسفي في العلوم الإنسانية النظرية والتطبيقية بصورة عامة، وتتضمن قضايا تتعلق بفلسفة اللغة والدين والأخلاق والتاريخ، وتنظر المجلة في الحدود التفاعلية بين الفلسفة وغيرها من العلوم.

أما المجلة الثانية، فهي تُعنى بالدراسات الإسلامية بشتى فروعها، لتقدم قدر الإمكان

نظرة شمولية عن المستجدات البحثية في هذا الحقل على صعيد النظريات والمنهجيات والتطبيقات، وتحتوي المجلة على عدد واسع من المقاربات التاريخية واللغوية والنصية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفكرية، وتشجع على فتح آفاق جديدة للدراسات الإسلامية عن طريق الدراسات البينية التي تجمع بين الحضارات العالمية والقضايا الفكرية الراهنة.

وتهتم المجلة الثالثة باللغويات التطبيقية؛ من خلال توظيف اللغة توظيفا معاصرا مع روافد اختصاصات أكاديمية متعددة، وتكتسب المجلة أهميتها كونها تساهم في تطور اللغة وتكييفها وتوظيفها، ومن شأنها أن تشارك في تطوير مناهج التعليم وأدواته وتشكل مرجعا قيما للسياسات اللغوية، وتدعم المجلة مشاريع حوسبة اللغات والصناعة اللغوية والمكتبات الرقمية والذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي.

الأحلام والتبصير من بيزنطة إلى بغداد 400 - 1000 ميلادي

Dreams and Divination from Byzantium to Baghdad, 400-1000 CE

Bronwen Neil

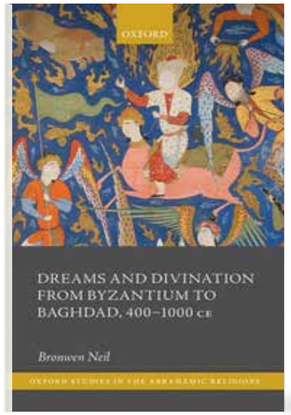

قراءة محمد السيد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الانسانية

يُعد الأدب المتعلق بالأحلام والرؤى في السياق الديني غنياً جدًا ومستمراً في التوسع، والأمر نفسه ينطبق على الاستكشاف الأكاديمي لهذه الظواهر في الديانات السماوية الثلاث: المسيحية والإسلام واليهودية، حيث تمّ دراستها من منظورات عدة، مثل: المعرفية والتفسيرية والتاريخية والفلسفية والسياسية والدينية.

يتناول الكتاب أهمية الأحلام في حياة اليهود والمسيحيين البيزنطيين والمسلمين خلال الألفية الأولى بعد الميلاد حيث كان لتفسير الأحلام قوة وتأثير كبيران خلال تلك المدة، فقد كان يُعتقد أن الأحلام النبوية تمثل تدخلًا إلهيًا في تاريخ البشرية، وكان للأنبياء ذكوراً وإناثاً سلطة لا مثيل لها في المحاكم الإمبراطورية ومخيمات الجيش والتجمعات الدينية.

جمعت هذه الثقافات الثلاث بين التبصير الوثني للأحلام وتقاليدها الكتابية الخاصة لتطوير ثقافة فريدة وغنية في تفسير الأحلام.

وقد سمحت الأحلام النبوية للمجتمعات بفهم ظروفها الماضية والحالية لكونها مقدرة إلهيًا، مما أثّر في تعزيز السلطة الروحية لأصحاب تلك الأحلام وأولئك الذين يمتلكون هبة تفسيرها.

يتبنى الكتاب، من خلال فصوله السبعة، نهجًا يركز على الجنس (مؤنث أو مذكر) في تحليل الثقافة المشتركة لتفسير الأحلام في المصادر اليهودية والمسيحية البيزنطية والإسلامية في نهاية العصور القديمة وحتى عام 1000 م، ليكشف عن الطرق التي تتيح فيها الأحلام فرصة فريدة للنساء لممارسة التأثير. وتكشف الخاتمة عن سبب استمرار أهمية الأحلام في أيامنا هذه للرجال والنساء في التقاليد التوحيدية.

تتناول المقدمة الأساليب القياسية التي تم اعتمادها في البحوث اللاحقة بعد (فوكو) في الأحلام وأهميتها الثقافية. كما تستعرض المقدمة التاريخ الحديث للأبحاث حول الأحلام والأساليب المختلفة لمقاربة الأحلام في مدة الحداثة وما قبل الحداثة، بما في ذلك منظور الدراسات المرتبطة بنوع الجنس المعتمدة هنا. يعرّف الفصل المصطلحات الأساسية مثل: "الرؤية الحلمية" و"الكهانة"، ويقدم ملخصًا لمحتويات الفصول الستة المتبقية في الكتاب.

تُظهر دراسة التقاليد التوحيدية الثلاثة، اليهودية الحاخامية والمسيحية البيزنطية والإسلام المبكر، في هذا الكتاب الطرق العديدة التي ارتبطت بها الأحلام والسلطة الروحية ارتباطًا وثيقًا عبر مختلف ثقافات البحر الأبيض المتوسط القديمة. كما يتبنى الكتاب "المنظور المسكوني" لتفسير الأحلام، حيث يعدها أيديولوجية مشتركة للوثنيين والتوحيديين في الشرق والغرب، إذ يركز المنظور المسكوني على الفكرة المشتركة: بأن الحلم النبوي يحمل رسالة من المملكة الإلهية، بدلاً من التركيز على ما يمكن أن تخبرنا به الأحلام النبوية عن العقل الباطن للمتنبئ بالحلم.

يتتبع الفصل الثاني نماذج تفسير الأحلام النبوية المتاحة في عصر اليهودية والمسيحية البيزنطية والإسلامية المبكرة من خلال تقاليدهم الكتابية الخاصة. يقدم الفصل استطلاعًا لتلك التقاليد الكتابية الأساسية المتعلقة بالقيمة الروحية والمعنوية للأحلام والرؤى. يناقش هذا الفصل الكتب العبرية المقدسة المتعلقة بالأحلام النبوية وتسلسل الوحي فيها. أعطى الخفاء المتأصّل في الأحلام الغامضة فرصة أداء دور البطولة لشابين مباركين بالهداية الإلهية لتفسير الأحلام، يوسف ودانيال. كما يناقش هذا الفصل كيف تم التعامل في القرن الثالث مع مسألة النبوءة خارج الكتاب المقدس من خلال الرؤى. وهنا تظهر مشكلة تمييز الأنبياء الحقيقيين من الزائفين حيث تعد قضية حية بالنسبة للمفسرين المسيحيين المبكرين مثل: أوريجانوس. أخيرًا، يقارن الفصل بين التقاليد الكتابية: اليهودية - المسيحية والآيات القرآنية والأحاديث التي وصف فيها محمد ﷺ، خاتم الأنبياء، مختلف الوحي.

يتناول الفصل الثالث دراسة كتب تفسير الأحلام في الديانات الرئيسة، ويركز على الاختلافات بين أحلام الذكور والإناث والاستراتيجيات التفسيرية المختلفة المستخدمة في هذه المصادر. يستعرض هذا الفصل تاريخ كتب التفسير ودلائل الأحلام في التقاليد الشرقية القريبة واليونانية الرومانية، مع التركيز على السياق العام وأهمية جنس الشخص الحالم في تفسير الأحلام. كما يتناول هذا الفصل رموز الأحلام في كتب مثل "أنيرو كريتيكون (تفسير الاحلام)" وكتب التفسير البيزنطية والتقاليد الإسلامية المبكرة. كما يسلط الفصل الضوء على أهمية الوظيفة الحالية والمستقبلية للأحلام، مع التركيز على تحديد معنى الحلم في الحاضر والتقييم المبني على ما إذا كان جيدًا أم سيئًا. يقدم الفصل أيضاً تفاصيل وعوامل متعددة تؤثر على تفسير الأحلام، بما في ذلك جنس الشخص الحالم.

يتناول الفصل الرابع ممارسات تفسير الأحلام والوحي والاستخدام الديني للنوم في المزارات، والتي استمرت من العصور القديمة في صورة دينية. فقد كانت الرسائل الإلهية التي يتم استقبالها في أحلام الوحي في التقاليد الوثنية واليهودية والمسيحية واليونانية الرومانية والإسلامية المبكرة تتطلب مترجمين متخصصين وأماكن محددة للوصول إلى الإله. يوضح الفصل كيف تم استيعاب وتكييف ممارسات الاستشارة بالوحي والنوم في المزارات من قبل المسيحيين البيزنطيين والمسلمين المبكرين. كما يناقش الفصل أيضًا عملية التحضير الحلمي وكيفية الحصول على زيارات من الآلهة أو القديسين من خلال النوم في أماكن مقدسة. يستكشف الفصل النص الوثني لممارسة التحضير، ثم يناقش كيف تم تحويل هذه التقليد في مجموعات المعجزات للقديسين من الذكور والإناث في البيئة البيزنطية، حيث اكتسب أهمية روحية. أخيرًا، يتناول الفصل بإيجاز الأدلة المحدودة للتحضير الحلمي في التلمود، وكذلك الممارسات المبكرة له في الإسلام.

يستكشف الفصل الخامس تعاليم الرهبنة الشرقية فيما يتعلق بأحلام الوحي وأهميتها، بالإضافة إلى التقليد التلمودي من بلاد فارس. ينصبّ التركيز على الزاهدين وتوجيههم للزهاد الآخرين في الشرق البيزنطي، حيث غالبًا ما كان الرجال والنساء في الجماعة الرهبانية الشرقية المسيحية جنبًا إلى جنب مع أتباعهم العلمانيين من ذوي الرؤى. يتناول الجزء الأول من الفصل مختلف الأطروحات والكتابات الزهدية مثل: إفاغريوس البنطي، وأقوال آباء وأمهات الصحراء، والنصوص الرهبانية من سورية. بينما يتعمق الجزء الثاني في المناهج اليهودية القديمة المتأخرة في عرافة الحلم ونشاط الروح، ولا سيما استكشاف التقاطع بين تفسير الأحلام والحياة الحاخامية في التلمود البابلي. ويتضح هنا الإيمان بإمكانية الوصول إلى الأحلام النبوية لجميع الأفراد، دون الحاجة إلى مترجمين محترفين. الجزء الثالث يقارن هذه التقاليد بأحاديث إسلامية مبكرة في الأحلام وتفسيرها.

يستعرض الفصل السادس الأدوار الروحية المتاحة للرجال والنساء في تقاليد حياة القديسين، مع التركيز على الأحلام الروحية والنبوية التي تتعلق بالحاضر والمستقبل على حد سواء. يستكشف كيف تعد الأحلام التي تصور الأنبياء والملائكة والقديسين نبوية وغالبًا ما تكون رسائلهم واضحة دون الحاجة إلى تفسير. كما وجد القديسون البيزنطيون طرقًا جديدة للظهور من خلال عناصر ملموسة مثل الأيقونات والآثار المقدسة. وتكون رسائلهم، التي يمكن أن تكون لها أهمية شخصية أو حتى أوسع من ذلك، عادة واضحة في المعنى ولا تحتاج إلى تفسير خاص. يقارن هذا الفصل بين أحلام الرجال والنساء المسيحيين القديسين وأحلام نظرائهم المسلمين في التقليد الصوفي، مشيرًا إلى أن الأحلام منحت النساء قوة روحية أكبر مما يعطى لهن عادةً في أي من الثقافتين.

إن المعاملة العادلة بين الجنسين واضحة أيضًا في السير الذاتية المبكرة للنبي محمد ﷺ. ويختتم الفصل بمناقشة الرؤى التنبؤية في اليهودية والمسيحية البيزنطية والإسلام كمؤشرات على الأزمات المجتمعية ويستكشف الاهتمامات الفردية حول الحياة الآخرة، بما في ذلك الرحلات إلى العالم الآخر، وبعضها تقوم به النساء.

يركز الفصل الأخير على تأثير استيعاب التقاليد اليهودية والمسيحية من قبل محمد ﷺ وأتباعه المبكرين، مع التركيز على تصوير الحالمين النبويين في التاريخ البيزنطي والإسلام المبكر. يدرس الفصل أهمية الأحلام في الصراع الطويل بين البيزنطة وأتباع النبي منذ 622 حتى 1000 ميلادية. كما يقرأ الفصل القرآن كمجموعة من الرسائل النبوية المتطورة في سياق نهاية العالم المفترضة القريبة.

إن نجاحات محمد ﷺ وأتباعه العسكرية أدت إلى زيادة حضور الرؤيا في التاريخ البيزنطي أيضًا. كما يظهر الفصل كيف أن المرأة أدت دورًا مهمًا في الروايات البيزنطية والإسلامية سواء أكانت حالمة أم مفسرة للأحلام مما أثر على نتائج نظرائهن من الرجال.

في تناقض مع كتب تفسير الأحلام، وأقوال الحكماء، فإن النصوص التاريخية لهذه المدة لا تحتوي على أحلام من أصل شيطاني، مع التركيز فقط على الأحلام التي ثبتت أنها "حقيقية". تشترك التبصيرات التي تحتوي على أحلام مخترعة بعد الحدث بين التقاليد البيزنطية والإسلامية.

كان للأحلام أهمية فردية واجتماعية في التقاليد البيزنطية والإسلامية حتى اليوم الحالي، مما يمنحها قوة رمزية هائلة يمكن التلاعب بها. وتلك

دائمًا المشكلة مع الأحلام وربما هو السبب الرئيس لتجاهلها في معظم المجتمعات ما بعد الإنارة، ولكن ليس في جميعها. يتساءل الفصل عما إذا كانت هذه الأحلام مهمة لثقافات دينية متشددة معينة، لأنها توفر فرصًا متساوية للرجال والنساء للوساطة في الحكم الإلهي والمشاركة عن بُعد في العنف. ويختتم الفصل بتقييم الاتجاهات الحالية في الإسلام والمسيحية الإنجيلية.

من خلال ربط هذه الثقافات ونظرياتها وممارساتها، يعد كتاب نيل بحثاً متميزاً متعدد التخصصات والثقافات الذي يتجاوز الأوساط الأكاديمية، ويقدم رؤى عميقة في العالم الذي نعيش فيه. من خلال كشف جذور هذه النظريات والممارسات، يقوم هذا الكتاب بأكثر من مجرد سد الفجوة في الأدب؛ بل يعزز فهمنا للأحداث التي نشهدها في العالم.

ما هو الفن الإسلامي؟
بين الدين والتصور
What Is “Islamic” Art?
Between Religion and Perception
Wendy M. K. Shaw

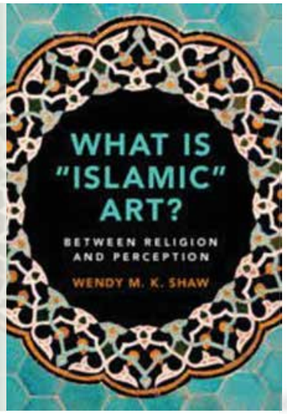

قراءة: بلال الأرفه لي
أستاذ كرسيّ الشيخ زايد
للدراسات العربيّة والإسلاميّة

تعبّر ويندي شاو (Wendy Shaw) في مقدّمة كتابها ما هو الفنّ الإسلاميّ؟ بين الدين والتصوّر، عن عملها على رؤية جديدة تتعلّق بكيفيّة التعامل مع الحقل المعرفيّ المعروف بالفنّ الإسلاميّ. نشهد اليوم توجّهًا جديدًا لإنشاء معارض ومتاحف (أو أقسام ضمن متاحف) تُعنى بالفنّ الإسلاميّ، ولكن هل يمكن للفنّ الإسلاميّ أن يُعرَض بالطريقة نفسها التي يُعرض فيها الفنّ الغربيّ مثلًا؟ وكيف يمكن لزائر هذه المتاحف تذوّق الفنّ الإسلاميّ؟ يستكشف الكتاب الرؤى المختلفة تجاه الفنّ في الثقافات الإسلاميّة والغربيّة على حدّ سواء، بدلاً من أن يركّز على الأعمال الفنّية بحدّ ذاتها. وتهدف الكاتبة بهذا إلى تحويل الجدل الأكاديميّ من كيفيّة إنتاج الفنّ الإسلاميّ إلى كيفيّة تلقّيه وفهمه، مشدّدةً بهذا على السمات المشتركة التي تتجاوز الحدود الزمنيّة والجغرافيّة. إنّ الهدف الأساسيّ من كتاب ما هو الفنّ الإسلاميّ؟ هو الترويج لفلسفة غائية - حسب اعتقاد الكاتبة - في الدراسات الأكاديميّة الحاليّة، وتتلخّص بالنظر إلى الفنّ الإسلاميّ على أنّه تجربة تفاعليّة تجريبيّة، لا مرئيّة فحسب. وترمي الكاتبة من خلال هذا الكتاب إلى تقديم نموذج لتذوّق الفنّ يكسر الكولونياليّة ويؤسّس لمقاربات عالميّة لتاريخ الفنّ.

لا يقدّم الكتاب إجابةً عن سؤال "ما هو الفنّ الإسلاميّ؟" بل يعكف على استجواب الطرح نفسه. ويتعدّى عنوان الكتاب "ما هو الفنّ الإسلاميّ؟" حدود مجال "الفنّ الإسلاميّ" محفّزًا الباحثين على التفكير فيما إذا كان تاريخ الفنون من منظور غربي نموذجًا مناسبًا لتصوُّر الأعمال الثقافيّة غير الغربيّة. ويتساءل الكتاب عمّا يكوّن الفنّ الإسلاميّ. ويدفع الباحثين إلى تخطّي الإدراك المرئيّ باتّجاه الإدراك السمعي والأدائي، ولكنّه لا يستعرض الجدل التاريخيّ حول الفنّ الإسلاميّ في الثقافات الإسلاميّة. فالكتاب غير معنيّ بتعريف "الصورة"، أو "الفنّ"، أو"الدين"، ولكنّه يتساءل عن معنى الفنّ إذا كان العضو المعنيّ بالتذوّق هو القلب، ويستكشف الحدود الفاصلة بين الحواسّ عند استقبالنا للعالم الخارجيّ، ويتساءل عن معنى الفنّ إذا عوّل المرء على الأحلام والرؤى واعتبرها حقيقة.

وعوضًا عن التركيز على مكان وزمان محدّدين، تختار الكاتبة تقسيمًا لكتابها يركّز على كيفيّة فهم أو استيعاب الفرد للفنّ، ومن ثم تتّجه إلى انعكاس ذلك على الخارج، قبل النظر في كيفيّة تصوّر الشعراء والفلاسفة وغيرهم من الصنّاع لـ "الصورة". تستند النتائج التي يقدّمها كتاب ما هو الفنّ الإسلاميّ؟إلى مقاربة جديدة تعتمد نصوصًا نادرًا ما التفت إليها الدارسون. تنتقد الكاتبة تغييب الدين عن دراسة تاريخ الفنّ، وهذا لا يقتصر على الفنّ الإسلاميّ فحسب، ومردّ هذا الأمر برأيها على المنهجيّات الحديثة التي ظهرت في فترة العلمنة. وتدعم الكاتبة فكرة دمج التقاليد الإسلاميّة الفلسفيّة مع التقاليد الكلاسيكيّة المرتبطة عادةً بأوروبّا المسيحيّة عند دراسة الفنّ الإسلاميّ وتذوّقه. وتسلّط الضوء أيضًا على الترجمة والتفاعل النشط بين المجتمعات اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة في الحقبة الكلاسيكيّة ممّا أدى إلى فهم مشترك للإدراك الحسيّ، والمادّة، وعالم الغيب. تركّز الكاتبة هنا على مفهوم المحاكاة المرتبط بالاتّصال الداخلي بالحقّ عوضًا عن تصوير العالم الخارجيّ.

تبدأ الكاتبة الفصل الأوّل بمناقشة "الصورة الإسلاميّة" وتتقاطع آراؤها مع آراء مجموعة من العلماء، منهم شهاب أحمد وكريستيان غروبر (Christiane Gruber)، الذين نفوا صحّة ما يُقال عن حرمة التصوير الشكليّ في الفنّ الإسلاميّ. ويركّز الفصل على دور الشعر في تشكيل نظريّة ثقافة الإدراك الحسّيّ في الفنّ الإسلاميّ. تتتبّع الكاتبة النظرة إلى الفنّ في القرآن والحديث والمذاهب الفقهيّة، وتعوّل كثيرًا على الشعر في رؤيتها الجديدة للفنّ الإسلاميّ، فالشعر هو المنطلق الأساسيّ للمخطوطات التقليديّة المزخرفة في الفنّ الإسلاميّ، والتي تزخر بالصور الممثّلة للأشخاص

والحيوانات. ونظرًا للعلاقة الوثيقة بين الصورة والنصّ الشعريّ في التراث الإسلاميّ، من المستغرب، بحسب الكاتبة، أنّ التحليل التاريخيّ الفنّيّ قد ركّز على تعيين السرديّات عوضًا عن إدراك الجوانب البصريّة والنظريّة في الشعر الإسلاميّ.

في كلٍّ من الفصل الثاني "الرؤية السمعيّة" والثالث "الصورة الناقصة" والرابع "الرؤية بالقلب"، تنتقل الكاتبة من الإدراك البصري إلى الإدراك السمعي. وتحدّد هنا أولويّات للإدراك الحسّيّ عن طريق إبراز الجدليّات الإسلاميّة حول الموسيقى (بدلًا من الرسم) بصفتها فلسفة جماليّة معقّدة. وتنتقل بفطنة بين أفلاطون وأفلوطين والكنديّ وابن سينا موظّفةً مخطوطات مصوّرة. تبني شاو نظامًا يكون فيه السماع وسيلةً للتمثيل المحاكي الذي يعبّر عمّا هو روحيّ عند المتلقّي. وتؤكّد في هذه الفصول على أهمّيّة فهم دور المقدّس الدينيّ في الإنتاج الفنّيّ الإسلاميّ. وتجادل أيضًا بأنّه لا يمكن فهم أو استيعاب الفنّ الإسلاميّ بشكل كامل خارج الموروث الذي استُوحي منه. وبهذا تنقل الكاتبة الجدل بعيدًا عن الفرديّة وصولًا إلى نهج يهتمّ بالعلاقات ويبحث في أسباب الأعمال الفنّيّة وكيفيّتها وماهيّتها. فالأعمال الفنّيّة الفرديّة، سواء أكانت قصيدة أم تصويرًا أم تجسيمًا تنتمي إلى سياق تاريخيّ وجمالي وشبكة من المعارف. ونظرًا إلى أنّ الكتاب يهتمّ بالأفكار المرتبطة بالفنّ الإسلاميّ بدلًا من الأعمال المادّيّة ذاتها، تقترح شاو مراجعة مفهوم الصورة ليشمل الأشكال غير المادّيّة والانفلاتيّة التي لا يمكن جمعها أو الحفاظ عليها.

في كلٍّ من الفصل الخامس "النظر عن طريق المرآة والذات" والسادس "خداع الخداع" والسابع "الصورة المتعالية" والثامن "الصورة العابرة للقيود"، تنظر الكاتبة إلى صنّاع الفن في المواقع والشبكات المختلفة، فترصد تفاعل الفنّانين قديمًا مع غيرهم في البلاطات، وكيفيّة تعبيرهم عن أفكارهم بأشكال متنوّعة، وكيفيّةَ إنتاجهم للسرد والتصوير المرافق. تتفاعل الكاتبة أيضًا مع قصّة تتكرّر في التراث الإسلاميّ مفادها مسابقة للتصوير بين فريقين، يصنع الأوّل تمثيلًا يحاكي صورة خارجيّة، بينما ينهمك الآخر بصقل جدار كي يصير مرآة. ومع أنّ القصّة تروى غالبًا على أنّها مواجهة بين رسّامين يونانيّين وصينيّين، إلّا أنّ الأدوار الحضاريّة يمكن أن تتغيّر في القصّة بحسب الراوي وهدفه من الرواية. تكشف شاو كيف عدّل كلٌّ من نظامي والرومي وابن خلدون وغيرهم في القصّة وكيف وظّفوا الفريقين الضدّين عن طريق إشارات نصّيّة معقّدة تشير إلى آثار الجدل القديم وتحفظها ولكنّها تطرح تفاسير جديدة لهيكليّة المعرفة.

يركّز الفصل التاسع "هندسة المحاكاة" على مناقشات حول الهندسة والمنظور. فقد راجت الأشكال الهندسيّة المتعدّدة الأسطح والمتساوية القياسات من الأندلس حتّى الهند وآسيا الوسيطة وإفريقيّة. تقدّم الخطابات الإسلاميّة، برأي الكاتبة، مفهومًا ضمنيًّا للهندسة كمنتج للمعنى دون تشكيل سيميائي للدالّ والمدلول، ودون أن تلجأ إلى تفكيك الرموز الهندسيّة. وهكذا فإنّ المغزى الدينيّ من هذه الأشكال الهندسيّة يرتبط بالتصوّر والإدراك عوضًا عن النيّة المقصودة.

يقدّم الفصل العاشر "مقاربات للمنظور" دعواتٍ للدراسة دون نتائج حاسمة. هنا ترى الكاتبة أنّ الاستشراق قد صوّر الثقافة الإسلاميّة على أنّها مفتقرة للمنظور الفضائي أو البعد الثالث. وتتضافر عدّة مفاهيم خاطئة في تشكيل هذه الصورة، منها الظنّ بأنّ الإسلام قد حرّم التصوير وأنّ الأشكال الهندسيّة لا تعبّر عن شيء، ولكن الفصول السابقة في الكتاب قد جادلت عكس ذلك. فالتصوير موجود في الثقافة الإسلاميّة، والهندسة تعبّر عن معنى. توضح الكاتبة في هذا الفصل أنّ المعنى الذي يتولّد من استعمال المنظور الجويّ هو تركيب اصطناعيّ مثله مثل انعدام المعنى المنسوب للأشكال الهندسيّة الإسلاميّة.

يؤخذ على الكتاب إهماله للتراث الفنّي لشمال إفريقية وجنوب شرق آسيا وغيرها من المناطق المهمّة، كما يؤخذ عليه قلّة الصور المرفقة ومردّ ذلك ربّما لأنّ الكاتبة تؤكّد على أنّ تذوّق الفنّ الإسلاميّ لا ينبغي أن يقتصر على التذوّق المرئي.

يقع كتاب ما هو الفنّ الإسلاميّ؟ في تقاطع الدراسات الإسلاميّة وتاريخ الفنون، ويعدّ مساهمة قيّمة، فهو يسعى للإجابة عن سؤال معيّن، ولكنّه في طريقه للإجابة عن هذا السؤال يطرح مناقشات ورؤى ترتبط بمجالات وتخصّصات متنوّعة.

الفن العربي الحديث:
تكوين الجماليات العربية

Modern Arab Art:
Formation of Arab Aesthetics
Nada M. Shabout

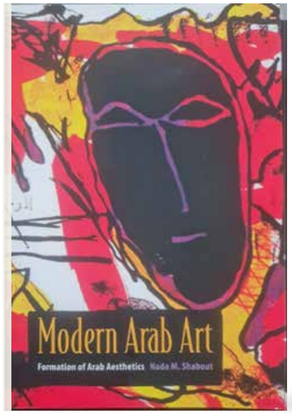

قراءة: سيسيل عواد
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يقول ليوناردو دافنشي: "إن الفن هو صورة الأحاسيس المرئية"

من هذا المنطلق يمكننا اعتبار الفن حكمة الموروث، واستقراء التاريخ، وحرية الحلم ومخزون الثقافة، ومخرجات الواقع.

علاوة على ذلك، تُعد الفنون العربية الحديثة جزءًا مهمًّا من الثقافة العربية المعاصرة، وقد شهدت تطورًا كبيرًا خلال القرن العشرين. إذ يعود تاريخ الفن العربي الحديث إلى أوائل القرن التاسع عشر، عندما بدأ الفنانون العرب في التأثر بالفنون الغربية وتبنيها. ومنذ ذلك الحين، تطور الفن العربي الحديث بشكل كبير، بل وأصبح يشمل مجموعة متنوعة من الأساليب والتقنيات.

كان الفن العربي الحديث في أوائل القرن العشرين، يتميز بأسلوب الزخرفة والتصميم الإسلامي التقليدي، ومع تأثير الفنون الغربية، بدأت التقنيات الحديثة كالطباعة الحجرية، والرسم بالألوان الزيتية، والأكريليك، تتبنى تحديثًا ملموسًا لمسارات الفن العربي الحديث، مما أسهم في انتشار أسلوبه وطابعه وهويته كفن عربي أصيل وله جذور ضاربة في التاريخ الموروث.

وهكذا، بدأ الفنانون العرب بالانخراط في الحركة الفنية الحديثة، وذلك بعد أن استهوتهم الحداثة في الفن، فأصبحوا يستخدمون التكنولوجيا المتاحة؛ لإنتاج أعمال فنية جديدة ومبتكرة. وفي السنوات الأخيرة، شهد الفن العربي الحديث تطورًا كبيرًا في الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية والسياسية، وأصبح هناك اهتمام متزايد بالتعبير عن الهوية الثقافية والتراث العربي في الفن.

صدر كتاب "الفن العربي الحديث - تكوين الجماليات العربية Modern Arab Art: Formation of Arab Aesthetics" باللغة الإنكليزية للكاتبة والمؤرخة الفنية (ندى شبوط) التي تعد من الباحثين المهمين في تاريخ الفنّ العربي الحديث، وفي الشرق الأوسط ككل، كما لعبت -ولا تزال- دورًا رئيسًا في التعريف بمُنجز الفنّ العربي المعاصر، وقد حرصت على العناية بالصورة ومتخيّلها الفنّي حيث قادها ذلك إلى التوثيق، والتأريخ لفنون الشرق الأوسط، من خلال كتاباتٍ مونوغرافية تاريخيّة تتناول بالدرس والتحليل الظواهر الفنيّة، مُحاولة إبراز وتسليط الضوء على معالم هذا الفنّ وخصائصه ووقائعه، أمام الغياب المهول للتأريخ العربي في مواكبة المُنجز الفنّي وتحوّلاته، على خلفية ما يشهده الفنّ المعاصر من متغيّراتٍ في العالم الآن.

علاوة على ذلك، قدمت نظرة مُغايرة لفنون الشرق الأوسط داخل المؤسّسات الغربية، وتحرير الآخر من نظرته الضيّقة تجاه الفنّ العربي، في وقتٍ أضحت فيه أعمال فنيّة عربية تُنافس الإنتاج الغربي، بل ربما تتفوّق عليه على مستوى اجتراح أفقٍ بصريّ مُكثّف، وأكثر جرأة على مستوى الصناعة والتخييل. في حين لم يقتصر نشاط أساتذة الفنّ الحديث على التأريخ لفنون الشرق الأوسط، بل قدّمت الكثير من المعارض الفنيّة داخل البلاد العربيّة وخارجها.

تبدأ المقدمة بمناقشة السياق التاريخي والثقافي، للفن العربي الحديث، وطرق التشكيل خلال سياقات اجتماعية وسياسية وثقافية أكبر، كما تسلط الضوء على تأثير الاستعمار والقومية والعولمة في تطور الفن العربي الحديث، والأساليب التي استجاب بها الفنانون لتلكم التحديات، إلا أنها في المقابل، تناقش الأشكال المختلفة للتعبير الفني التي ظهرت في العالم العربي على مر السنين، وذلك بدءًا من الأشكال التقليدية للفن، مثل: الخط والخزف، إلى الأشكال الأكثر معاصرة.

تسلط المقدمة الضوء أيضًا على دور المرأة في الفن العربي الحديث، والطرق التي تحدت بها الفنانات الأدوار التقليدية للجنسين وتوقعاتهن باستخدام الفن كوسيلة للتعبير عن أفكارهن ووجهات نظرهن.

يقع كتاب "الفن العربي الحديث - تكوين الجماليات العربية" في ثلاثة أجزاء رئيسة تبحث ضمن عدة فصول مسارات الفن الجمالي العربي الحديث؛ وذلك على طول فصول الكتاب.

يتناول الجزء الأول من الكتاب: الخلفية والتعاريف، حيث يقدم في البدء نظرة عامة على الكتاب وأهدافه، ثُمَّ عن تاريخ الفن العربي

الحديث ومساراته، مع تعريف دقيق للفن العربي الحديث، وكذلك عن تطوره منذ بدايات القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر.
بعد ذلك تنتقل المؤرخة والباحثة لتتعمق أكثر في سبر أغوار الفن الحديث، كجزء من تاريخ الفن في التشكيل والتحول؛ فتبحث أكثر في تاريخ الفن العالمي وتطوره؛ ولتقدم نظرة واسعة المدى على التأثيرات الفنية العالمية التي تأثر بها الفن العربي، وكذلك في تأثير الفن العربي الإسلامي وتأثيراته على الفن الحديث الذي يعتبر امتدادًا له، ولكن بقوالب حديثة، كما تسهب المؤلفة في شرح اللبس الحاصل لدى الغرب في التمييز بين الفن العربي، والفن الإسلامي ضمن سياق التطور التاريخي للدين الإسلامي.
من هنا، تشير المؤلفة إلى أنه من أجل فهم شامل، وصورة أوضح للفن العربي الحديث لا بد من فهم تطور التاريخ العربي، وكذلك تطور متغيرات الثقافات العربية، وتأثير الاستعمار المتلاحق، الذي تسبب في خلق حالات من الصدام بين الثقافات الموروثة في الشرق الأوسط وبين الثقافات الغربية، فقد مرت التيارات الفنية والحركات الفنية التي تأثر بها الفن العربي الحديث كثقافة، مثل: تيار الحداثة الأوروبية والفن التجريدي والتعبيري، والتصوير الواقعي، وكذلك الفن الإسلامي.
من هذا المنطلق، بدأت بوادر حداثة الفن العربي في الظهور، حيث وجد الفنانون أنفسهم في حاجة لفهم لغة الفن الغربي؛ من أجل فهم لغة التطور الفني في العالم العربي، منذ بداياته في مصر، ولبنان، إلى الوقت الحاضر. وتعرض المؤلفة بعض الأمثلة عن المجموعات الفنية العربية والفنانين العرب الذين أسهموا في تطوير الفن الحديث في العالم العربي، والتحديات التي واجهها الفن العربي، ثم تتحدث المؤلفة عن انتشار الفنانين القادمين من الغرب إلى المدن العربية والمشرق العربي وشمال إفريقيا في أثناء الاحتلال الغربي كأحد الأسباب، والذين جابوا المدن العربية، ورسموا الكثير من اللوحات الشرقية ذات الطابع العربي والإسلامي.
أما السبب الثاني، فكان في الاحتلال العثماني الذي فتح معسكرات التدريب لجيوش الغرب، الأمر الذي جعل الوافدين للتدرب في مدارس إستانبول - ومن بينهم فنانون - يصبحون على مقربة من التراث الفني الإسلامي، وكيف كانت نظرة الفنانين الغربيين للفن العربي الحديث، وللفنانين العرب في تناولهم الموضوعات الفنية، والذين لم يسلموا أحيانًا من النقد اللاذع.
تنتقل المؤلفة وبشكل انسيابي للحديث عن المجموعات الفنية العربية، كالمجموعة الفنية المصرية التي أسسها الفنان المصري (جورج حنين) في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقد أطلق عليها اسم "فن وحرية"، والمجموعة العراقية الحديثة التي كانت المجموعة العربية الأولى، التي تطور أسلوبها الفني الخاص بعد أن تأسست على يد الفنان العراقي (جواد سليم)، وبالإضافة إلى غيرهما من المجموعات الفنية التي تشكل حركة الفن العربي الحديث، فقد كان الرابط الأساس الذي يجمع كل تلك المجموعات حركة الفن العربي الحديث بهويتها العربية، وبأسلوب معاصر، والإطارات الفنية التي تم استخدامها لتحليل الفن العربي.
بالإضافة إلى ذلك، توضح المؤلفة أيضًا تأثير المصادر الثقافية المختلفة على تشكيل جماليات الفن العربي الحديث، بما في ذلك الفن الإسلامي، والحداثة الأوروبية، والتقاليد الثقافية، وعن تأثير الحداثة الأوروبية على الفن العربي الحديث، حيث كانت الحداثة الأوروبية حركة فنية وثقافية، تهدف إلى تحديث التقاليد الفنية القديمة وتجديدها، كما قد أثرت هذه الحركة في الفنانين العرب، ودفعتهم إلى التحديث والابتكار في أساليبهم الفنية.
أما الجزء الثاني: جماليات الفن العربي الحديث فيستكشف الموقف العربي الحديث من الفن، والسياق التاريخي والثقافي للفن العربي الحديث، والطرق التي استجاب بها الفنانون العرب لتحديات العصر الحديث وفرصه. كما يناقش تأثير الاستعمار على العالم العربي والطرق التي أدى بها ذلك إلى إعادة تقييم الأشكال التقليدية للفن والثقافة، ومن ثم إلى دراسة ظهور الفن العربي الحديث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والأنماط التي استجاب بها الفنانون العرب للتغير الاجتماعي والسياسي والثقافي.
في المقابل، يسلط السياق التاريخي الحديث للفن العربي المعاصر، الضوء على الدور المهم الذي لعبه الفنانون العرب في الحركات الثقافية، والسياسية، في ذلك الوقت، وكيف استخدموا الفن كوسيلة للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم لمستقبل العالم العربي، والحركات الفنية المختلفة التي ظهرت في العالم العربي خلال هذه الفترة، مثل: حركة النهضة في مصر، ومدرسة بغداد في العراق.
تنتقل الباحثة بعد ذلك إلى دراسة الوسائل التي استجاب بها الفنانون العرب المعاصرون لتحديات المعاصرة. فتستكشف الباحثة تنوع وثراء الفن العربي المعاصر، وكيف استخدم الفنانون مجموعة من الوسائط والتقنيات ذات الهوية العربية؛ للتعبير عن رؤاهم وأفكارهم. كما لم تغفل الطرق التي تعامل بها الفنانون العرب مع كل من الأشكال التقليدية للفن والفن الغربي، وكيف سعوا لخلق شكل فريد ومتميز للفن العربي يعكس التراث الثقافي للمنطقة والواقع المعاصر.
أما حول "الفن، والمجتمع، والسياسة" وعلاقتهم بالفن العربي الحديث، وإسقاط مجريات التاريخ وأحداث المجتمعات على الفن، فتبدأ المؤلفة في شرح العلاقة المعقدة بين الفن والسياقات الاجتماعية، وبين الأحداث الأوسع التي نشأ فيها، والطرق التي استخدم بها الفن عبر التاريخ وسيلة للتعبير عن الأفكار الفنية

والاجتماعية، وتلك التي تأثر بها الفنانون بالسياقات الاجتماعية والحداثوية الأكبر التي يعملون فيها، والوسائل المختلفة التي تعامل بها الفنانون العرب مع مختلف القضايا في فنهم. والدور المهم الذي لعبه الفن في مختلف الحركات الفنية والاجتماعية في جميع أنحاء العالم العربي، كما هو الحال في الفن الفلسطيني. تناقش أيضًا الطرق التي تم بها استخدام الفن للتعبير عن الهوية الثقافية والتراث في العالم العربي. وتركز على الأشكال المختلفة للخط العربي، كالتي تم استخدامها وسيلةً للتعبير عن الأفكار الفنية والثقافية.
كما تتطرق إلى أحد الموضوعات الرئيسة، وهو التوتر بين التعبير الفني وحرية الفن، حيث تشرح الطرق المختلفة التي تأثر بها الفنانون العرب بالرقابة الفنية، سواء من خلال التدخل النقدي المباشر أو من خلال الرقابة الذاتية.
ومن ثَمَّ تتحدث عن الوسائل التي استجاب بها الفنانون لهذه التحديات، وغالبًا من خلال إيجاد طرق إبداعية للتعبير عن أفكارهم ووجهات نظرهم.
علاوة على ذلك، تستكشف الباحثة "بصمة الفن الفلسطيني"، وكيفية استخدام الفن العربي الحديث، والطرق التي استخدم بها الفنانون الفلسطينيون الفن كوسيلة للتعبير عن التراث والتعبير الثقافي ضمن السياق التاريخي للفن الفلسطيني والأساليب التي تشكل بها الموروث الفني الفلسطيني عبر التاريخ، وكذلك في إثراء الفن الفلسطيني كأثر إنساني، وكرسالة عالمية عابرة للحدود، تنقل إلى العالم والرأي العام العالمي الفن الفلسطيني بما فيه من جماليات.
ثم تنتقل إلى دراسة الأشكال المختلفة للفن الفلسطيني التي ظهرت على مر السنين، بما في ذلك الرسم، والنحت، والتصوير، وفن التركيب، والأشكال الفنية المختلفة، التي ظهرت على مر السنين مثل فن الجرافيت، والجداريات، والملصقات، والزخارف، والرموز المختلفة، والتي غالبًا ما تستخدم في الفن الفلسطيني، مثل: شجرة الزيتون، والكوفية الفلسطينية.
ثم تتابع الباحثة في التعمق بحركة تطور الفن العربي المعاصر وجمالياته؛ فتبحث في "الامتثال العراقي" ضمن سياق تطور الفن العربي الحديث، والطرق التي اجتاز بها الفنانون العراقيون التحديات والقيود التي فرضتها الظروف المحيطة في السبعينيات والثمانينيات. إلا أن الباحثة تعمقت بمناقشة السياق التاريخي للفن العراقي، والأنماط التي تعامل معها الفن العراقي للتعبير عن جماليات الفن.
علاوة على ذلك، تعمقت أيضًا في دراسة الطرق المختلفة التي استجاب بها الفنانون العراقيون لمختلف التحديات، وقد استخدموا الفن الحديث لمحاكاة الواقع والوقائع كأسلوب للتعبير الإبداعي عن أفكارهم وأحلامهم.
أما الجزء الثالث: الحرف العربي في الفن فقد أفردت فيه الباحثة والمؤرخة والفنانة زوادتها الفنية حول دور الحرف العربي في الفن العربي الحديث، كما درست المؤلفة عدة جوانب مهمة حول الحرف العربي في الفن، إذ فصلت بعض الخصائص الفنية عن "الحرف العربي في الفن الإسلامي"، فاستعرضت دور الحرف العربي في الفن الإسلامي التقليدي وطرق استخدامه، ومن ثم الرسومات المعقدة والتفاصيل الدقيقة التي تم تنفيذها باستخدام الحرف العربي في هذا النوع من الفن.
وفي الحديث حول "الحرف العربي في الفن الحديث"، أوضحت المؤلفة الدور الذي لعبه الحرف العربي في الفنون التشكيلية ودوره في الفن المعاصر، ثم عبر العالم، وكيف تم تطويره وتحديثه في الفنون التشكيلية والتطبيقية الأخرى.
علاوةً على ذلك، تتطرق المؤرخة والكاتبة للحديث عن "تجارب معاصرة مع الحروف العربية"؛ فتشرح كيف جرب الفنانون المعاصرون الحروف العربية في فنهم، والأنماط المتميزة والفريدة التي عبّر بها هؤلاء الفنانون باستخدامهم الحروف العربية في أعمالهم، والابتعاد عن الأشكال التقليدية للخط واستكشاف أشكال جديدة ومبتكرة للتعبير، كما تبحث في ظهور وسائل الإعلام الجديدة والتكنولوجيا في عالم الفن المعاصر، وتأثير ذلك على استخدام الحروف العربية في الفن، ثم تذكر أعمال بعض الفنانين الذين يستخدمون الحروف العربية في أعمالهم الفنية لاستكشاف العلاقة بين اللغة والقوة، وكذلك تقنيات استخدام النص واللغة لخلق شعور بالغموض وتحدي توقعات المشاهد لما يجب أن يكون عليه الخط العربي. وكذلك التقاطعات الثقافية والاجتماعية لاستكشاف العلاقة بين التقليد والحداثة وتأثير العولمة على الثقافة العربية.
وفي الخاتمة، تقدم الباحثة والمؤرخة ملخصًا للموضوعات والأفكار الرئيسة التي تم تناولها في جميع أجزاء الكتاب، كما تقدم بعض الأفكار حول أهمية الفن العربي الحديث، وتركز على الدور المهم الذي لعبه الفن في الحركات السياسية والاجتماعية في جميع أنحاء العالم العربي، للتعبير عن المعارضة السياسية، والهوية الثقافية.

صالون بيت الحكمة

25 يوم الى عدن

06يونيو 2023

نظمت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، ضمن البرامج الثقافية لصالون بيت الحكمة، ندوة نقاشية حول كتاب" 25 يوماً في عدن - فصول لم تروَ عن قوات النخبة العربية في الحرب»، «لمؤلفه الدكتور مايكل نايتس، المتخصّص في الشؤون العسكرية والأمنية في الخليج العربي، والتي قدمها المترجم سامر أبو هواش، والكتاب أصدره «مشروع كلمة للترجمة» في مركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي الترجمة العربية.

وتناولت الندوة التي جاءت ضمن أهداف صالون بيت الحكمة في نشر معالم الحضارة العربية الإسلامية والتعريف بإرثها الأدبي القيم والتشجيع على ثقافة القراءة والبحث العلمي، والتي حضرها سعادة الدكتور خليفة الظاهري مدير الجامعة ، وعدد من أعضاء هيئة

التدريس ، مضامين الكتاب وصوره التوثيقية للحملة العسكرية الحاسمة التي قادتها قوات عربية خاصة ، ورجال المقاومة اليمنية لتحرير ميناء عدن التاريخي من سيطرت ميليشيا الحوثي، ويروي الكتاب القصة الحقيقية لتشكيل دول الخليج العربي تحالفاً من عشر دول خلال أسبوع واحد، وأطلق أكبر عملية عسكرية، وقد تعرّضت تلك الحملة لفترات من المدّ والجَزْر، حيث كانت المقاومة الجنوبية أحياناً تقاتل والبحر من ورائها، لكنها تمكّنت من الصمود، وهزمت الغزاة نهاية المطاف وانطلقت في أثرهم.

التعليم التقني والمهني:
التطوير والإصلاح
Technical and Vocational Education
in the UAE: Development and Reform
Mubarak AL Shamisi

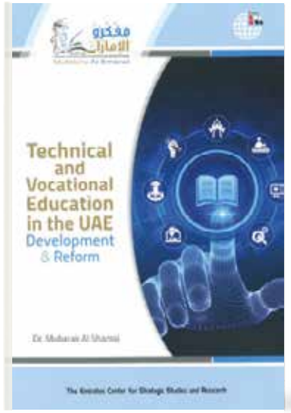

قراءة: محمد الزيودي
عضو الهيئة التدريسية
جامعة محمد بن زايد للعلوم الانسانية

يُعَدُّ هذا الكتابُ من ضمن الإصدارات الخاصَّة بمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيَّة، ويهدف إلى التحقق من رؤى 2021 و 2030 و2071 في الدولة، وترجمتها إلى سياسة التعليم التقني والمهني. وبشكل أكثر تحديدًا حاول الكتابُ دراسة دور القيادة الإماراتيَّة ورؤيتها في تطوير التعليم التقني والمهني وإصلاحه، كما حاول اكتشاف تأثير التعليم التقني والمهني في إتاحة فرص التوظيف للإماراتيين في القطاع الخاص، فضلًا عن دوره في تسهيل الانتقال إلى اقتصاد المعرفة، بما ينسجم مع الأجندة الوطنية في الدولة. وعليه، يسعى الكتابُ إلى استكشافَ دور دولة الإمارات ورؤية قيادتها في تطوير التعليم التقني والمهني، والعلاقة بين الخطط والسياسات التي تحقق هذه الرؤية، وذلك من خلال البحث في التعليم التقني والمهني في الإمارات العربية المتحدة، كما يسعى إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلة، هي: هل توجد استراتيجية فعالة للتعليم والتدريب التقني والمهني لتلبية متطلبات المهارات في رؤى القيادة؟ وهل التعليمُ والتدريب التقني والمهني يُقَدَّمُ بشكل فعال؟ وهل يوجد نظام لإشراك غير العاملين في وظائف ذات صلة بمهاراتهم؟

يتضمَّنُ الكتابُ سِتَّةَ فصول، هي: الإمارات واقتصاد المعرفة، والتعليم التقني والمهني في الإمارات، والتعليم التقني والمهني والتدريب، والتوظيف والتعليم التقني والمهني، وتأثير التعليم والتدريب التقني والمهني في التوظيف، وتحليل نتائج الدراسة المبنيَّة على المقابلات والدراسة المسحيَّة. يقدم الفصل الأول الحديث عن دولة الإمارات واقتصاد المعرفة؛ حيث أُشيرَ فيه إلى أن هناك عددًا قليلًا من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في الدولة، وبالرغم من ذلك فقد قطعت الدولة شوطًا كبيرًا في هذا المجال من خلال وضع الخطط التي تحدِّد "رؤى" القيادة الإماراتيَّة طويلة المدى، مثل رؤية الإمارات 2021، ورؤية أبو ظبي الاقتصادية 2030، ومئويَّة الإمارات العربيَّة المتحدة؛ حيث أولت الدولةُ عمليَّةَ الربط ما بين اقتصاد المعرفة والتعليم التقني والمهني اهتمامًا كبيرًا من خلال التركيز على إعداد الكوادر الوطنيَّة المؤهَّلة للمنافسة والعمل في مجال القطاع الخاص من خلال تزويدهم بمجموعة من المهارات الأكاديمية، ومهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي، والعمل الجماعي، والذكاء الانفعالي، التي تساعدهم في خلق الأفكار الإبداعيَّة واتخاذ القرارات المناسبة واستخدام مهارات حل المشكلات، إضافة الى تزويدهم بالمهارات التقنية في مجالات العلوم والرياضيات والهندسة. كما يشير هذا الفصلُ إلى أثر الثورة الصناعية الرابعة في الشرق الأوسط بشكل عام وفي دولة الإمارات بشكل خاص في مجال تطور مجال الذكاء الاصطناعي وعلم الروبوتات.

أمّا الفصلُ الثاني فيتناولُ التعليم التقني والمهني في الإمارات؛ حيث أُشيرَ فيه الى تعريف المفاهيم الأساسيَّة، مثل التعليم التقني والمهني، والتدريب المهني، كما تناول الحديث عن النظام التعليمي في الدولة؛ حيث يشمل القطاعين الحكومي والخاص، ويغطي أربعة مراحل تعليمية، يتعين على الطلاب اجتيازها للالتحاق بالكليات والجامعات المختلفة.

كما أشار الكتابُ إلى المؤسسات التعليميَّة التي تقَدِّمُ التعليم التقني والمهني في الدولة، مثل: كليَّة فاطمة للعلوم الصحيَّة، ومعهد الإمارات للدراسات المصرفيَّة والماليَّة، وأكاديميَّة الاتصالات، وأكاديميَّة أدنوك الفنيَّة، والمعهد البترولي.

وفي هذا الصَّدد، يُشير الكتابُ إلى إنشاء مركز أبو ظبي للتعليم والتدريب التقني والمهني في عام 2010؛ بهدف زيادة أعداد الإماراتيين الشباب من ذوي الكفاءات العاملين في وظائف مجزية، تتيح لهم فرص التعلُّم المستمر والتطور المهني لإعدادهم لسوق العمل، وهو مركز يعملُ على تطوير البرامج التعليميَّة الجديدة، بما يتلاءم مع تطوُّر تغيير متطلَّبات قطاعات العمل والاقتصاد المختلفة في دولة الإمارات، كما يضع المركز السياسات والمعايير التي تنظم بشكل فعال عمل المؤسسات التعليميَّة المهنيَّة والتقنيَّة داخلَ إمارة أبوظبي، كما يتولّى مسؤوليَّة منح التراخيص للمدرِّبين والمعلِّمين الذين يستوفون متطلَّبات السوق المحليَّة لدولة الإمارات العربيَّة المتحدة.

كما ركَّزَ هذا الفصلُ على المقارنة بين نظام التعليم التقني والفني في الدولة مع عدد من الدول الأجنبيَّة بناءً على تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي الذي رَكَّزَ على أربعة محاور رئيسة لتنمية رأس المال البشري، أولها: القدرة، ويحدِّدها إلى حد كبير الاستثمار السابق في النظام التعليمي، وثانيها: التسخير، من حيث تطبيق المهارات وبناؤها من خلال العمل، وثالثها: التنمية، وهي الاستثمار في النظام التعليمي للقوى العاملة المُقبلة، واستمرار رفع مهارات القوى العاملة الحاليَّة وإعادة تأهيلها، ورابعها: الدراية الفنيَّة، وهو محور يعتمد على مدى اتساع المهارات المتخصصة في العمل وعمقها. ومن الدول التي قورِنَت معها المرجعيَّةُ: بلجيكا، وألمانيا، وماليزيا، وسويسرا، وكوريا الجنوبية؛ للاستفادة من تجاربها في مجال تطوير التعليم التقني والمهني.

أمّا الفصلُ الثالث، فتناولَ موضوع التعليم التقني، والمهني، والتدريب، من خلال التركيز على إجابة السؤال الثاني الموسوم بـ "هل التعليمُ والتدريب التقني والمهني يُقَدَّمُ بشكل فعال؟"

ركَّزَ هذا الفصلُ على أهميَّة دعم المدرِّسين من أجل تقديم جودة عالية في المراحل التعليميَّة؛ لمواكبة التطوُّر العلمي الذي يشهده العصر، وجاء إطلاق نموذج المدرسة الإماراتيَّة الجديدة، التي استندت على أربع ركائز، هي: مواءمة النظم التعليميَّة للتعليم الخاص في الدولة مع منظومة المدرسة الإماراتيَّة، وتحقيق متطلبات سمات الخريج في المدرسة الإماراتيَّة، ومواكبة المنظومة التعليميَّة لمتطلَّبات سوق العمل المستقبليَّة، ووضع إطار يوضِّح التكامل بين المسارات المهنيَّة والأكاديميَّة. وعليه، فقد استدعى هذا النموذج من الدولة وضع معايير شاملة لمختلف تفاصيل التعليم، بدءًا من المنهج الدراسي واعتماد التعليم الذكي وغرس أدوات الإبداع والابتكار لدى الطلبة وتعزيز سماتهم الشخصيَّة، مرورًا برفع كفاية المعلمين وتوفير مسارات تعليم تواكب حاجات سوق العمل انسجامًا مع رؤية الإمارات 2030م.

كما تناول هذا الفصلُ الحديث بالتفصيل عن أهميَّة التعليم واقتصاد المعرفة، واعتبار المعلم الركيزة الأساسيَّة في إعداد أجيال من الطلبة؛ ليكونوا ركيزة رئيسة في بناء اقتصاد معرفي في الدولة، وتطرَّقَ إلى أهميَّة توفير مناهج خاصَّة بالذكاء الاصطناعي، وعلم الروبوتات في المدارس، كما تناول نموذج جوسكي لتغيير المعلِّم؛ حيث أشار إلى أربعة عناصر أساسيَّة في هذا النموذج لتطوير المعلمين، هي: التطور المهني، وتغيير في الممارسة الصفيَّة، وتغيير في مخرجات الطلبة التعليميَّة، وتغيير في اتجاهات المدرِّسين ومعتقداتهم، فضلًا عن إشارته إلى أهميَّة استخدام هذا النموذج في الدولة من أجل تطوير العمليَّة التدريسيَّة وتحسين المخرجات التعليميَّة.

وتناول الفصلُ الرابعُ، موضوعَ التوظيف والتعليم التقني والمهني، فَرَكَّزَ على اعتبار التعليم أحد الأدوات الرئيسة في تحقيق النمو الاقتصادي، وتطوير رأس المال البشري؛ من أجل زيادة الفرص في الحصول على الوظائف؛ حيث أولت القيادة الرشيدة أهميَّة كبيرة لتطوير المهارات والمعارف؛ لزيادة الفرص في الحصول على الوظائف، وتطرَّقَ الفصلُ إلى مجموعة من المتغيِّرات التي تؤثر في التوظيف في الدولة، مثل: عدم التوافق بين مخرجات التعليم وسوق العمل؛ حيث أُشيرَ إلى خمسة عناصر أدت إلى ذلك، هي: نقص المهارات، وعدم توافق المؤهلات مع الوظيفة المطلوبة، وارتفاع أو تدني المؤهل التعليمي المناسب للوظيفة، وعدم وجود مهارات مناسبة للوظيفة، وارتفاع أو انخفاض المهارات المطلوبة للوظيفة. وبسبب وجود العناصر السابقة التي تمثَّلت في عدم التوافق، فقد جرى التركيز على توفير التطوير المهني لأبناء الدولة، بحيث يمكِّنُهم من تنمية شخصياتهم ومهاراتهم الأكاديميَّة والمهنيَّة، بما يعطيهم فرصة أفضل. فضلًا عمّا سَلَف، فقد تناول الفصل التحديات التي تواجه التوطين في الدولة وكيفية مواجهتها.

وأمّا الفصلُ الخامسُ، فيناولُ تأثيرَ التعليم والتدريب التقني والمهني في التوظيف، وأشار إلى أهميَّة هذا الموضوع في عمليَّة التحوُّل إلى اقتصاد المعرفة؛ إذ رَكَّزَ على دراسة المعيقات التي تؤثر في تطوُّر التعليم والتدريب التقني والمهني في الدولة، مُتَناوِلًا إيّاها في ثلاثِ مراحل، أولها: إجراء مقابلات مع الخبراء التربويين من أجل مراجعة أسئلة الدراسة الرئيسة والفرعيَّة، وثانيها: إجراء المقابلات مع مجموعة من الوزراء، والمديرين، والمدرِّسين، والطلبة، وأولياء الأمور، وأصحاب العمل، وثالثها: توزيع استبانة على (8900) فرد. كما أجاب هذا الفصل عن أسئلة الدراسة، ففيما يتعلق بالسؤال الأول "هل توجد استراتيجية فعالة للتعليم

والتدريب التقني والمهني لتلبية متطلّبات المهارات في رؤى القيادة؟"، أشارت نتائج المقابلات إلى وجود بعض المعيقات، مثل: نقص المهارات لدى الطلبة، وحاجتهم إلى التدريب في مجال مهارات استخدام الحاسوب، وحاجة المدرّسين إلى مزيد من التدريب في مجال الروبوتات، والحاجة إلى تطوير مهارات الطلبة في مادة الرياضيات من أجل تطوير اقتصاد المعرفة، أمّا في ما يتعلَّقُ بالسؤال الثاني، "هل يُقَدَّمُ التعليم والتدريب التقني والمهني بشكل فعال؟" فقد أشارت النتائج إلى وجود عوامل تؤثر في تقديم التعليم التقني والمهني بشكل فعال، مثل: نوعية التعليم، وعدم تلبية المناهج للتحوُّل إلى اقتصاد المعرفة، وأمّا في ما يتعلَّقُ بالسؤال الثالث، الذي رَكَّزَ على أهميَّة التأهيل المهني في زيادة فرص التوظيف للإماراتيين من خلال التوطين والتحوُّل إلى اقتصاد المعرفة، فأشارت النتائج إلى أهميَّة التركيز على تزويد الطلبة بالمعلومات الكافية عن الوظائف ومتطلَّباتها وتوفير فرص العمل المناسبة لهم في القطاع الخاص.

وناقَشَ الكتابُ أيضًا نتائج تحليل الاستبانة؛ حيث أكّدت النتائج بشكل عام أهميَّة مشاركة القطاع الصناعي في برامج التعليم التقني والتدريب المهني في الدولة، والتركيز على تطوير المناهج، وإعطاء الطلبة الحرية في اختيار التخصصات المناسبة حسب مهاراتهم واهتماماتهم؛ لتقليل فرص عدم التوافق في المؤهلات والمهارات.

وتناول الفصل الأخير مناقشة أسئلة الدراسة وتحليلها، وكانت هذه الأسئلة مبنية على المقابلات والدراسة المسحية، وخُلِصَ هذا الفصل إلى إحدى وعشرين نتيجةً وعشرة توصيات، وذلك بُغية بناء نموذج جديد محسّن يُطوِّر التعليم التقني والتدريب المهني، ممّا يُسهم في ترجمة رؤى الدولة إلى واقع ملموس، كما يُسهم في تطوير المهارات الضرورية ورفع مستوى الكفاءات؛ لتوظيف الإماراتيين وصولًا إلى خدمة الازدهار الاقتصادي المستقبلي للبلاد على نحو فعّال.

وفي الختام، يمكن القول إنَّ هذا الكتاب قد قدَّم العديد من وجهات النظر المتباينة فيما يتعلَّقُ بالتعليم والتدريب التقني والمهني في الدولة، من خلال المقابلات التي أجريت مع أصحاب القرار في هذا المجال، من المعلمين، وأولياء الأمور، والطلبة، ومديري المدارس. وترافقت هذه المقابلات مع الدراسة المسحية التي عزّزت النتائج التي تُوصِّلَ إليها. وقدّمت الدراسة عرضًا مهمًّا لنماذجَ مختلفةٍ في الدول الأوروبيَّة والآسيويّة، في المساعدة إلى الوصول إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تُسهم في تطور نظام التعليم والتدريب التقني والمهني في الدولة، وتطوّر عملية التحول إلى الاقتصاد الرقمي، وترجمة رؤية الإمارات إلى واقع ملموس، وتنفيذ كل ما جاء في الأجندة الوطنية للدولة. والجدير بالذكر أن الدولة تصدّرت المرتبة الأولى عالميًّا في قطاع التعليم والتدريب التقني والمهني، ضمن مؤشر المعرفة العالمي 2022، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بالتعاون مع مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، وهو الأمر الذي يعزز الصدارة الإماراتية في تطبيق أهداف التنمية المستدامة، ويُرسِّخ حقيقة أن منظومة التعليم والتدريب، باتت ضمن المرتكزات الأساسية التي تسهم في تعزيز القدرة التنافسية للدولة. وهذا ينسجم مع الجهود التي تبذلها القيادة الرشيدة في سبيل تحقيق الأفضل لمجتمع دولة الإمارات، وتطوير الكفاءات الوطنية لضمان مستقبل واعد ومستدام للأجيال القادمة، مشيرًا إلى أن تقدُّم الدولة في هذا المؤشر يعود إلى تفوقها في محور التعليم والتدريب التقني والمهني؛ الذي يشمل جودة المؤهلات، والتدريب المستمر، وتنمية المهارات، ومعدل الالتحاق بالتعليم ما بعد الثانوي.

ومن خلال قراءة هذا الكتاب وخبرة القارئ في المجال التربوي، يمكن الإشارة إلى أهميَّة دراسة هذا الموضوع في تطوير نظام التعليم والتدريب التقني والمهني وتطوير الروبوتات، وذلك يتقاطع مع رؤية الدولة الثاقبة والمنفتحة على جميع الممارسات التربوية في مجال التعليم والتدريب المهني. كما يُمكن الإفادة من مسح الأدب التربوي ونتائج الدراسة في إعداد معلّمين متمكّنين، وإعداد مناهجَ تربويَّةٍ حاملةٍ لمضامين هذا المجال، وتطوير المعايير الخاصة بالتعليم والتدريب التقني المهني، وفق أعلى معايير الجودة العملية تمهيدًا للتحول إلى مجال الاقتصاد المعرفي والتركيز على الذكاء الاصطناعي والروبوتات، والتعاون ما بين جميع المؤسسات ذات العلاقة في الدولة لتسهيل عملية الانتقال والتحول وتطوير نظام التعليم والتدريب التقني والمهني في الدولة.

عندما يُغلق باب الصف

د. كريمة مطر المزروعي

قراءة: فادي دقناش
كاتب وباحث في علم الاجتماع

تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في المجتمعات كافة، دوراً محورياً في بناء الفرد والمجتمع، على الرغم من نسبيَّتها وخصوصيَّتها وتراتبيَّتها باختلاف المكان والزمان. وقد أثبتت العديد من الدراسات السوسيولوجية بأنَّ المجتمعات الغربية تولي أهميَّة كبرى لمؤسسة المدرسة كمصدر أساس ورئيس للتنشئة الاجتماعية؛ فهي مِن جهة جاءت مُنسجمة مع متطلبات الرأسمالية لإنتاج عمّال متخصصين يلبُّون أسواق العمل، ومِن جهة أخرى كرَّست الطبقية ولا ديمقراطية التعليم (دراسة عالم الاجتماع بيار بورديو الذي تبيَّن له بأنَّ المدرسة تسعى لإعادة إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها من خلال تكريس التعليم الأكاديمي لطبقة الميسورين، فيما الفقراء يتوجَّهون كأهلهم نحو التعليم المهني، ما يعكس لا ديمقراطية التعليم في فرنسا)، لكنَّ مسارها العام عموماً يسعى بشكل دائم إلى تصحيح وتقويم عدد من المفاهيم والمعتقدات والانتماءات الأهلية المُغلقة والسير بها نحو مفاهيم المواطنة والمساواة والحقوق والواجبات. أمَّا مؤسسة المدرسة في عدد من المجتمعات الشرقية (ومنها العربية) فتأتي كمؤسسة تنشئة ثانوية، فيما تلعب الأسرة فيها- كمؤسسة تنشئة أوليَّة (من حيث التصنيف التراتبي)- دوراً شاملاً وجامعاً لا يُعنى فقط بالتنشئة الاجتماعية كإعادة إنتاج القيم المجتمعية، إنَّما بالتنشئة المعرفية التي تتناول مناحي الحياة كافة (الاقتصادية والسياسية والثقافية...)، وهذا ما يجعل تأثير (الأسرة-البيت) يطغى ويتماهى مع باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى ومنها المدرسة، الأمر الذي يُفسِّر استمرار المفاهيم الأهلية في مؤسسة المدرسة وما بعدها الجامعة، كالعصبية القَبَليَّة والدينية على حساب مفاهيم المواطنة والحرية والمساواة وغيرها... التي تغدو مفاهيم مجرَّدة نظريَّة غير ملموسة أو مُعاشة على أرض الواقع.

وبعيداً عن هذا التحليل الماكروسوسيولوجي الذي يتناوله عادة باحثو علم الاجتماع، تأتي الباحثة كريمة مطر المزروعي في كتابها "عندما يُغلَق باب الصف" لتتناول موضوع المدرسة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية من زاوية أكاديمية متخصصة، "ميكرو تحليلية"، للتفاعلات التي تحدث داخل غرفة الصف، واستشرافها لأهمية المدرسة كمؤسسة تُعنى بإنتاج أفراد مُتمكّنين على المستوى النفسي والتخصصي، انطلاقاً من تطبيق النظريات وطرائق التدريس الحديثة من قِبَلِ المعلّم المُتمكِّن أيضاً، الذي يرى في مهنته رسالة يؤديها بِحبّ وشغف للوصول إلى تحقيق المُخرجات التربوية بكفاءة عالية. وهنا يأتي هذا الكتاب في عنوانه الثانوي، كـ"دليل المعلم الشامل قبل وأثناء وبعد التدريس"، ليُشكِّل خارطة طريق للمعلّم منذ انطلاق مشواره المهني، مروراً بتفاصيل العالم التربوي داخل أسوار المؤسسة المدرسية، وتحديداً داخل الصف والتفاعلات التي تجري بين المعلم وطلابه، والاستراتيجيات المستخدمة من قبله، ليصبح الصف المُغلق مادياً، عالماً مفتوح الآفاق لا حدود فيه للتفكير والتفكُّر والنقد وطرح الأسئلة والنقاشات التربوية التي تطير بِحُريَّة خارج حدود الصف، بأجنحة حُبّ تُظهر عُمق رسالة التعليم، بعيداً عن كونها وظيفة للحصول على راتب كغيرها من الوظائف.

يتميّز هذا الكتاب بكونه يُحاكي تجربة الباحثة العملانية في مهنة التدريس، وقد حاولت من خلاله جعله واقعياً بعيداً عن التنظير والمثالية وتخيُّل بيئة صفيّة غير موجودة، وأتى ذلك "بناءً على خبرات في الميدان التربوي لأكثر من ثلاثين عاماً، ومن ملاحظة أكثر من 450 معلّم في مرحلة ما قبل الخدمة"، كما تضمَّن عدداً من الابحاث والدراسات وقراءات لكتب أجنبية ذات صلة، ليكون مصمَّماً "للتعليم المباشر والتعليم الإلكتروني" بعد إضافة الخبرات والتجارب التي تراكمت أثناء جائحة الكوفيد 19، مع إمكانية اعتماده كمرجع ومقرَّر في الاختصاصات الجامعية ذات الصلة، لِما يَحويه من معلومات ومعطيات مُفيدة للفاعلين في فضاء التربية والتعليم. وفيما يلي أبرز أفكار الكتاب:

1- معلّم للمرة الأولى: وهو عبارة عن مقدمة تعريفية إرشادية حول كيفية تفاعل المعلّم مع البيئة التربوية عند توقيعه عقد التدريس وتعريفه بكيفية تجهيز وتنظيم وتنسيق "ملف الإنجاز" ("مجموعة شواهد توضع في ملف واحد، ويوضح إنجاز المعلّم والمتعلمين طوال العام الدراسي أو عبر الأعوام")، مع التركيز على نموذج "شارلوت دانيلسون" عند وضع إطار وخطط للتدريس المهني.

2- قبل دخول غرفة الصف، التخطيط والإعداد: إنَّ المرحلة التمهيدية مهمة للغاية قبل دخول غرفة الصف، يتمّ خلالها التركيز على أهميَّة وكيفيَّة اختيار الأهداف التدريسية، إضافة إلى كيفيَّة إظهار المعرفة بالمحتوى والأساليب التربوية، بالمتعلّمين وبالموارد بما في ذلك التقنيات التعليمية، ناهيك عن تصميم التدريس المُترابط، واقتراح التقييمات المناسبة للتقويم وتحسين الأداء.

3- في غرفة الصف: وهي المرحلة الأهم كونها تُدخل المعلم في تجربة تفاعلية حيَّة مع طلابه، وهي المختبر الأساس لنجاحه أو فشله، من هنا خصصت الباحثة قسمين رئيسَين كمرشدَين مساعدَين لنجاح المعلّم في هذه المهمة: أ- تهيئة البيئة الصفيَّة للتعلم، من خلال إيجاد بيئة من الاحترام والمودة، وبناء علاقة إيجابية مع المتعلمين، وبناء الثقة، وبناء ثقافة للتعلّم، إضافة إلى كيفية إدارة الإجراءات الصفية وإدارة سلوك الطلاب وتنظيم المكان. ب- التدريس، الذي يتم من خلال التواصل مع الطلاب بوضوح ودقّة، واستخدام أساليب طرح الأسئلة والنقاش، مروراً بإشغال المتعلمين في التعلم وصولاً إلى تقديم الملاحظات والتوجيهات للطلاب.

4- بعد الخروج من غرفة الصف: وهي مرحلة المسؤوليات المهنية، يتم من خلالها التركيز على عددٍ من النقاط الهامة التي تلي عمليَّة التدريس، ككيفيَّة التدبّر في التعليم واستخدام السجلات الدقيقة والاحتفاظ بها، وأهميَّة التواصل مع أسر المتعلّمين، ومشاركة المجتمع المهني، وضرورة تعزيزه والتعاون بين المعلّم الجديد والمعلّم الخبير، الأمر الذي يؤدي إلى النمو والتطور المهني.

تُركِّز الباحثة في سياق بحثها على أهميَّة "المعلّم" كفاعل أساس في العمليَّة التربوية إذ عليه "بذل جهد جبَّار ليكون مُعلِّماً متميّزاً... فالمعلّم الحقيقي في الأصل مُعلِّم يُحبُّ عمله، ويحاول أن يقدِّم ما بوسعه بطريقة إبداعية قادرة على جذب انتباه المتعلم وكسب احترامه معظم الوقت"، وهذا بدوره يحتاج لشخصيَّة قابلة للتعامل مع الطلاب، والالتزام بقواعد سلوك صارمة تؤهّله للدخول إلى هذا الفضاء الزاخر بالتحدّيات والتغيّرات اليوميَّة في عصر التطورات المتسارعة في المجالات كافة، من هنا "وحتى يصل المعلم إلى الاحتراف في التدريس فإنَّ على القائمين في التعليم، إعداده إعداداً جيداً يتناسب مع متغيّرات العصر واحتياجاته ومستجدّاته، دون إهمال أو تفريط بلغة البلد وثقافته". ويَخلُص الكتاب إلى تنبيه المعلّم لعدم وقوعه فريسة الإرهاق والإحباط، فالمعلم "المُحبط" أو "المُتعب" أو "المُحترق ذاتياً" يتعثّر في مهنة التدريس، وأحياناً يُقرّر تركها نتيجة الضغوط المختلفة التي يتعرَّض لها، لذلك "يتعيَّن على المعلّم تَعلُّم وتطبيق المهارات التي يحتاجها لتخطيط الدروس، وصَقل العمليَّة التعليمية... واستخدام الوسائل المُساعدة لتعزيز الثقة وزيادة فرص النجاح أثناء عمليَّة التدريس".

في الخلاصة، ينبغي التنبُّه بأنَّ التطور المعرفي المُتسارع الذي فرضته الثورة الصناعية الرابعة المُعزَّزة بالذكاء الاصطناعي قد أفرز تحدّيات كبرى تواجه التربويين في عالم اليوم. وبالرغم من إغلاق باب الصف إيجاباً وتحقيقاً لأهداف تربوية، فقد فتحت الباحثة كريمة مطر المزروعي في كتابها نافذته أمام الباحثين العرب من أصحاب الاختصاص للتعمق بهذا الفضاء المعرفي اللامتناهي، في عصر التدفق المعرفي "الومضي" المُتسارع، ما يطرح إشكاليات عدّة في هذا المجال: منها ما يتعلَّق بتكنولوجيا التعليم وديمقراطيَّته ومدى قدرة الدول ومنظومتها التربوية، وخاصة الدول الفقيرة والنامية، من استقدام التكنولوجيا وتعميمها، وأخرى حول مدى قدرة الفاعلين التربويين على مواكبة التطورات الهائلة في مجال الذكاء الاصطناعي والعمل بأدواته الحديثة، وقياس فاعليَّتها، ومواكبتها بالأبحاث والتقييمات المناسبة، وصولاً إلى تحقيق مُخرجات العمليَّة التعليمية التربوية بعيون عربية مبنية على الابتكار والتجارب، لتُتَوَّج في النهاية بنظريّات "حديثة" يُمكن تعميمها في مجتمعاتنا وخارجها، لتجعل من المدرسة، مؤسسة تربوية حقاً ومرجعاً أخلاقياً مُنتجاً للقيم السامية القائمة على الحوار، والمُنفتحة على الآخر المُختلف، بعيداً عن الانغلاق والتقوقع، ومُحفِّزاً على الإبداع والابتكار في المجالات كافة للخروج من دوامة الجهل والتبعيَّة والحروب والعصبيات التي تعصف بمجتمعاتنا منذ قرون.

رحلة علميّة الى ايطاليا

16-22- يوليو 2023

نظمت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية رحلة علمية لوفد من طلابها المتميزين إلى إيطاليا والفاتيكان، قاموا خلالها بزيارة دور العبادة المهمة وتعرفوا على تأثير التاريخ والثقافة الرومانية وتاريخ التعددية الدينية في إيطاليا.

وحضر الوفد عددا من الورش التعريفية حول التأثير الروماني في تاريخ الشرق الأوسط، وتأثير المسلمين في عصر النهضة الإيطالية.

كما شارك الوفد برئاسة اليازية الظاهري مدير إدارة الحياة الطلابية في الجامعة ، في ورش مماثلة حول تاريخ روما. وتضمنت رحلة الوفد أيضا زيارات ميدانية لعدد من المواقع التاريخية والمحافل الثقافية في العاصمة الإيطالية روما.

الشجرة التي تتوسط شعار الجامعة هي "شجرة الأديان" التي تجسد الأصل المشترك للإنسانية في جذعها والمتفرع إلى عدة أديان ومعتقدات في فروعها، فيما تمثل أوراق الغاف المحلية قيم التسامح.

The tree at the center of the university's logo is the "Tree of Religions" which embodies the common origin of humanity in its trunk while its branches represent the diversity of religions and beliefs. The Ghaf leaves symbolize the values of tolerance.

قصة الشعار

1. إطار دائري
مرصع بـ21 نقطة

المعرفة والحكمة

كلمة Phi أصل كلمة "فلسفة" (φιλοσοφία) التي تترجم إلى عبارة "تقدير للمعرفة".

يدل الرمز" أيضا على معاني التوزان (بين كلا المحورين)، مما يقودنا إلى شبكة متماثلة المحاور.

إطار دائري من 21 نقطة يرمز إلى سنة تأسيس الجامعة، (أيضا عام اليوبيل).

2. شجرة

تبادل الأفكار الأخوي

تشير الشجرة إلى تمثيل أديان العالم النابعة من جذع واحد متشابك.

أقوى ثلاثة جذور تشير إلى الأصول المشتركة بين معتقدات الأديان الإبراهيمية.

3. البحر، الصحراء
وثلاث نقاط رئيسية

الإمارة والوطن

البحر هو جزء لا يتجزأ من قصصنا

لقد شكلت الصحراء والكثبان شخصيتنا ومن نحن.

ثلاث نقاط أساسية تمثل المناطق الثلاث للإمارة - العين والظفرة وأبوظبي - في إشارة إلى المراجع الإرشادية.

4. كتاب مفتوح

التعليم هو بذرة التفاهم

الكتاب المفتوح يوضح التزامنا تجاه التعليم بوصفه وسيلة للتفاهم والتسامح.

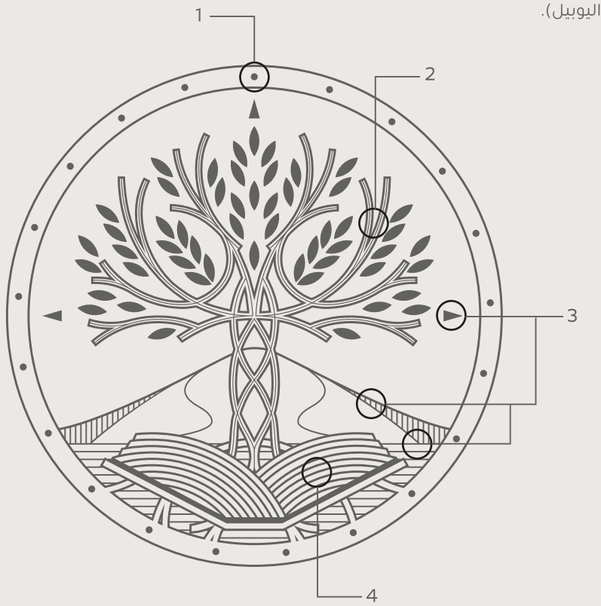

Story of the Emblem

1. Circular Frame
with 21 Dots

KNOWLEDGE
AND WISDOM

The symbol Φ also inspires graphical balance and dual symmetry (both axis), leading us to a symmetric and even grid.

A circular frame with 1 dots symbolises the-es tablishing year of the University, 01 (also year of the UAE jubilee).

2. Tree

FRATERNAL
SHARING OF IDEAS

The Tree refers to the representation of the world religions stem ming from one same intertwined trunk.

Three stronger roots relate to the shared origins which hold the beliefs of the Abra-hamic religions.

3. The Sea, The Desert and
The Three Cardinal Points

THE EMIRATE
AND THE NATION

The sea is embedded in our stories and has shaped our character and who we are.

Three cardinal points rep-resent the 3 regions of the Emirate — Al Ain, Al Dhafra, Abu Dhabi — in an allusion to guiding references.

4. Open Book

THE SEED FOR
UNDERSTANDING

The open book il-lustrates our com-mitment towards education as a vehicle for under-standing and tol-erance.

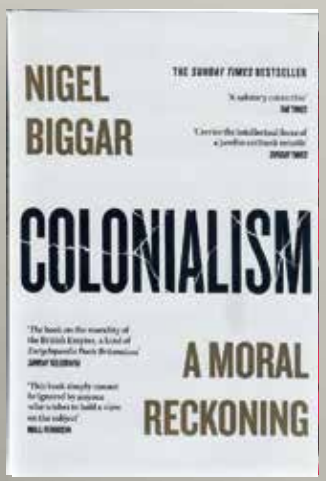

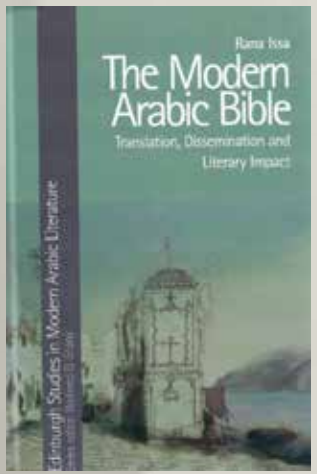

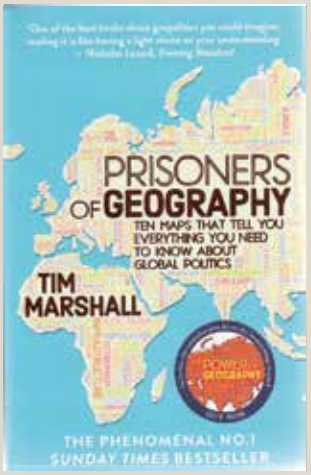

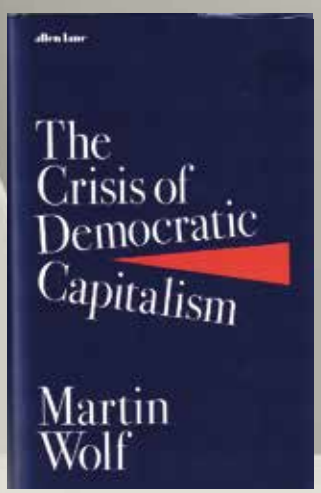

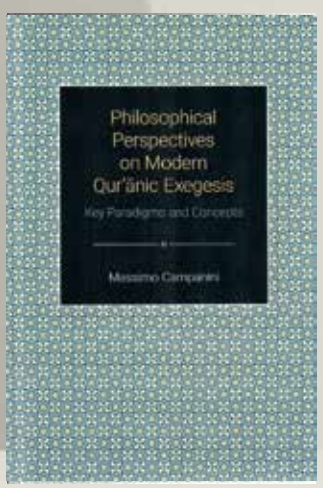

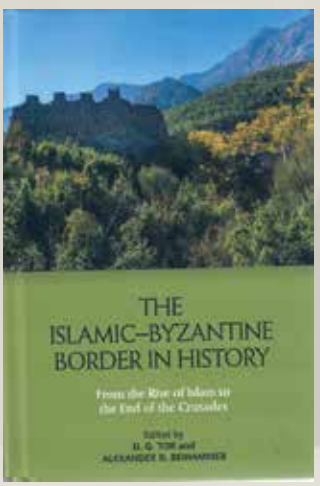

في الأعداد القادمة

إصدار: مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة
محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
بالتعاون مع: الأرشيف والمكتبة الوطنية

MBZ university for humanities mbzuh